

٥٧٨٨

10003582(1)



ترجمة المؤلف

ولادة ٦٧٧ - ٧١٣ هـ وفاته

هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد الخطيب
وهو اول من لقب بالخطيب بن علي بن احمد السلمي يكنى ابا عبد
الله ويلقب بالسان الدين وبذي الازولين وله شهرة فاشقة في عالم
الادب والسياسة وكان نادرة الدهر وفريد ذلك العصر في النظم
والنثر حتى انه يضرب به المثل في ذلك . اصله من مدينة قرطبة
ثم سكن لوشة . ويهم يعرف في التقديم ببني وزيد ثم صار يعرف
ببني الخطيب . وعائلته عريقة في الجند والعلم . ونشأ على حالة حسنة
سالكين اسلافه وكان مبتلا بالارق يسهر الليل الا انله ولذلك
قبل له ذي العمرين لانه كان يعمل في ليله كما يعمل في نهاره وقرأ على
كثير من فحول علماء الاندلس والمدونة القرية والشرق والبرقية . واخذ
الطب وعلوم الفلاسفة وصناعة التعديل عن جملة اعلام . وله تأليف
كثيرة وكما على غاية من النفاسة والتحقيق منها : الحلل الموشية الخ .
والاحاطة في اخبار غرناطة . والامعة البديرة في الدولة النصرية .
والحلل المرقومة . ومعيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار والطريقة

A 2519

الحلل الموشية

في الاخبار والغر الكشية

في ذم الوثيقة. والسحر⁷ والشجرة. ورعاية الكتاب. ونجمة¹² المشاب¹³.
والصليب¹⁴ والجهم¹⁵. والكهام¹⁶. ومناضلة مائة وسلا¹⁷. ورسالة الطالعون¹⁸.
والمسائل الطبية. والرجز في عمل التزيان¹⁹. والديوسفي في الطب²⁰.
والناتج²¹ المحلى في مساجلة القدح الممل²². والكتيبة الكامنة في شراء المائة²³.
الثامنة. ومناضلة الجراب. والبيطرة²⁴. ورسالة تكون الحفنين²⁵.
والوصول لحفظ الصحة في النصول. ورجز الطب. ورجز الأغذية²⁶.
ورجز السياسة وكتاب الوزارة ومقامة السياسة. والغيرة على اهل
الحيرة. وحمل الجمهور على السنين المشهور. وتريدة المخضة. والرد
على اهل الاباحة. وسد الذرمة في تفضيل الشريعة. وخطرة الصيف
ورحلة الشتاء والصيف. وطره مصر في دولة بني نصر. وتحرير
الشبه. واستنزال اللطاف الموجود في سر الوجود. وبستان الدول
وهو غريب في معناه في فنون السياسة في ثلاثين جزء. ولم يكمل.
وايات الايات فيما اختاره من مطالع ماله من الشعر. ورفق الحلال
في نظام الدول. وفتاة الخوان. ولاحظ الصوان يتضمن المنعوعات
وعائد الصلة. وتلخيص الذهب في اختيار عيون الكتب. وجيش
التوشيح. ورجز في اصول الفقه شرحه ولي الدين ابن خلدون.
والأكليل الزاهر. وكناسة الدكان بعد انتقال السكان. وعمل من طب

من احب. ولدة الفاخرة والحجج الزاخرة جمع فيه نظم ابن صفوان
والمباخر الطيبة في المفاخر الحطبية. وخلع الرسن في امر القاضي
ابن الحسن. واعمال الاعمال بن بوع من اموك الاسلام قبل الاحتلال
وله تأليف في فن الموبنة وغير ذلك ربو عددها على السنين تأليفا
وقد ترجمه كثير من كبار المؤرخين تراجم حافلة بما فيه. مزدانة
بسيرته. ومنهم سليل السلاطين الامير اسماعيل بن يوسف بن السلطان
محمد بن الاحمر ترجمه في كتابه المسحى (غرائب الجمان فيمن نظامي
ولياه الزمان) ومنهم العلامة الكبير ابن خلدون ترجمه ولورد
سيرة حياته في تاريخه الكبير ومنهم الحافظ ابن حجر ترجمه في
كتاب ابناء الضمير ومنهم المقرئ صاحب نفع الطيب الذي ترجم
فيه اهل الفضل من الاندلسيين فقد ترجمه في هذا الكتاب
ترجمة حافلة ونقل فيه كل ما ذكره في شأنه المؤرخون بل انه اجلا لا
تقدره واعظاما لذكره سمي كتابه هذا باسمه. ووسمه بوسمه.
وهو (نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب. وذكر وزيرها
لسان الدين ابن الطيب) وما ذكره فيه في التعريف بلسان
الدين قوله
هو الوزير الشهير الكبير. لسان الدين الطائر الصيت في المغرب

والشرق المزري عرف البناء عليه بالنبر والميراث للثمل المضروب في
الكتابة والشعر والطب ومعرفة العلوم على اختلاف أنواعها ومصنفاته
تخبر عن ذلك ولا يفتك مثل خبير علماء الرؤساء الاعلام الوزير المشهور
الذي خدمته السيوف والاقلام . وغني بشهوه ذكره عن سطور
التعريف والاعلام واعترف له بالفضل اصحاب المقول الراجعة والاحلام
وقال في موضع آخر في غضون الكلام على فضله وعلمه ان له من
التأليف نحو السنين وكلها في غاية البراعة .

وقد نكبه بنسبة السلطان محمد بن الاحمر بسمائة احد تلاميذه
المشهور بابن زمرك الذي ولي الوزارة بعده وسعى في نكته وقتله
بتهمة ذهابه مذهب الفلاسفة القائلين بالخلول والاتحاد وهي تهمة
باطلة برأى منها المؤرخون وصورة ذلك هو ما ذكره المقرئ
ويجدل بنا هنا ان نقل نقما ترجمه به المؤرخ الكبير ابن خلدون
لنتم الفائدة وهذا ما قاله فيه وجهما الله :

اصل هذا الرجل من لوشة على مرحلة من غرناطة كان له بها سلف
معروف في وزارتها وانتقل ابو عبد الله الى غرناطة وليستخدم
للملك بني الاحمر واستعمل على مخازن الطمام ونشأ ابنه محمد هذا
بغرناطة وقرأ وتادب على مشائخه واختص بصحبة الحكيم المشهور

يحيى بن هذيل واخذ عنه العلوم الفلسفية وبرز في الطب وانتحل
الادب واخذ عن اشياخه وامتلا حوض السلطان من نظمه وشعره
من انتفاء الجيد منه وبلغ في الشعر والترسيل حيث لا يجارى فيها .
وامتدح السلطان ابا الحجاج من ملوك بني الاحمر وملا الدولة
بمدائحه وانتشرت في الافاق قدماه فرقاه السلطان الى خدمته
واثبت في ديوان الكتاب ببابه مرؤسا بابي الحسن بن الحباب شيخ
المدوتين في النظم والنثر وسائر العلوم الادبية ولما هلك ابن حباب
سنة تسع واربعين وسبعمائة ولي السلطان ابو الحجاج يومئذ محمد بن
الخطيب هذا رئاسة الكتاب ببابه وقناه بالوزارة راقبه بها فاستقل
بذلك وصدرت عنه غرائب من الترسيل في مكاتبات جيرانهم من
ملوك المدة ثم داخله السلطان في تولية المال على يديه بالمشاركات
فجمع له بها اموالا وبلغ به الخاصة الى حيث لم يبلغ باحد من قبله
وسفر عنه الى السلطان ابي عثمان ملك بني مرين بالمدوة معزيا بابه
السلطان ابي الحسن فجلى في اغراض سفارته . ثم هلك السلطان ابو
الحجاج وبويع ابنه محمد بالامر لوقته فافرد ابن الخطيب بوزارته
كما كان لايه واتخذ لكتابته غيره وجعل ابن الخطيب رديفا له في
امره واشتركا في الاستبداد معا . ثم بشوا الوزير ابن الخطيب

سفيراً الى السلطان ابي عنان مستعين له على عدوم الطاغية على
عادتهم مع سلفه فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه تقدم الوفد
الذين معه من وزراء الاندلس وقفاها استاذنه في انشاد شيء من
الشعر يقدمه بين يدي نيجواه فاذن له فانشد وهو قائم ايـ انا اهتز
السلطان لها فاذن له في الجلوس وقال له قبل ان يجلس : ما ترجع
اليهم الا بجميع عطائهم . ثم تفضل كآبهم بالاحسان وردد جميع
مطالبهم . قال القاضي ابو القاسم الشريف : لم يسمع بسفير اضي
سفارته قبل ان يعلم على السلطان الا هذا . وبعد ذلك اعتقل الرئيس
النائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب وضيق عليه في عيـه الى ان
شفع فيه ثم سار في ركاب السلطان الى وادي آش قادمين على
السلطان ابي سالم فارغد عيش ابن الخطيب في الجراية والاقطاع ثم
استأذنه السلطان في التحول الى جهات مراكنش والوفود على اثار
الملك بها فاذن له وكتب الى المال بانحافه فبادر وافي ذلك وحصل
منه على حظ وعند ما مر بسلا في قوله بن سفره دخل مقبرة
الملوك بشالة ووقف على قبر السلطان ابي الحسن وانشد قصيدته على
روية الراء الموصولة برثيه ويستير به استرجاع ضياعه بغرابة مطالعها
ان بان منزله وشطت داره قامت مقام عيانه اخباره

فسم زمانك عبرة او غبرة هذا ثراه وهذه آثاره
فكتب السلطان ابوسالم في ذلك الى اهل الاندلس بالشفاعة فشفعوه
واستقر هو بسلا مقتبدا عن سلطانه طول مقامه بالمدوة ثم عاد
السلطان محمد المخلوع الى ملكه بالاندلس فاستقدم ابن الخطيب من
سلا وورده الى منزلته كما كان . وبعد ذلك فصل عن الوزارة ثم
اعيد الى مكانه من الدولة من علو يده وقبول اشارته وادركته
الغبرة من عثمان بن يحيى مقدم القوم في الدولة ونكر على السلطان
الاستكفاء به والتخوف من هؤلاء الاعياص على ملكه فحذره
السلطان واخذ في التدبير عليه حتى نكبه واباه واخوته واودعهم
المطبخ ثم غرهم بعد ذلك وخسلا لابن الخطيب الجو وغلب على
هوى السلطان واخذ ودفع اليه تدبير المملكة وخطب بينه بندياته
واهل خلوته وانفرد ابن الخطيب بالحل والمقد وانصرفت اليه
الوجوه وعلمت عليه الآمال وغشي بابه الحامصة والكافة وغصت به
بطانة السلطان وحاشيته فتوافقوا على السماية فيه وقد صم السلطان
عن قبولها وتنا الخبر بذلك الى ابن الخطيب فشر عن ساعده في
التفويض عنهم
وفي خلال ذلك استحكمت فرة ابن الخطيب لما بلغه عن البطانة

من القمح فيه والسعاية وربما خيل ان السلطان مال الى قبولها وانهم
قد احفظوه عليه فاجمع التحول عن الاندلس الى المغرب واستأذن
السلطان في تقدم التنوير الغريبة وسار اليها في لمة من فرسانه و معه
ابنه علي الذي كان خالصة السلطان وذهب لطيته فلما حاذى جبل
الفتح فرصة الجواز الى المدوة مال اليه اذ ند بين يديه فخرج قائد
الخيال لثانيه وقد كان السلطان عبد العزيز ملك المدوة قد اوعز اليه
بذلك وجهر اليه الاسطول من حينه فاجاز الى سيرة وقلناه بها
بانواع التكرمة وامتثال الاوامر ثم سار قصد السلطان فاهتزت له
الدولة واركب السلطان خاصته لثانيه واحله مجلسه بمحل الامن
والنبطة ومن دولته بمكان الشرف واللمزة واخرج لوقته كاتبه اباجي
ابن ابي مدين سفيرا الى الاندلس في طلب اهله وولده فاجابهم
على اكل الحالات من الامن والتكرمة .

ثم انقطع المنافسون له في شأنه وانفروا لسانه بقتب غرائه ولبدوا ما
كان كائنا في نفسه من سقطات دابته واحصاء عساكره وشاع على
السنة اعدائه كلمات منسوبة الى الزندقة احصوها عليه ونسبوا اليه
ورفعت الى قاضي الحضرة الحسن بن الحسن فاسترحاهما وسجن
عليه بالزندقة وراجع صاحب الاندلس رايه فيه وبث القاضي ابو

الحسن الى السلطان عبد العزيز في الانتقام منه بتلك السجلات
وامضاء حكم الله فيه فصم لذلك وانف لثمنته ان تحفر وجواهره ان
يردى وقال لهم :

هلا اتقتم وهو عندكم وانتم عالمون بما كان عليه واما انا فلا يخلص
اليه بذلك احدا ما كان في جواردي ثم وفر الجراية والاقطاع له ولبنيه
ولمن جاء من فرسان الاندلس في جملة فلما ملك السلطان عبد العزيز
سنة اربع وسبعين سار هو في ركاب الوزير ابن بكر بن غازي
القائم بالدولة فنزل فاس واستكن من شراء الضياع وتأنق في بناء
المساكن واغتراس الجنات وحفض له القائم بالدولة الرسوم التي
وسمها له السلطان المثنوي . ولما استولى السلطان ابو العباس على
البلد الجديد دار ملكه قبض على ابن الخطيب وادعوه السجن
وطيروا بالخبر الى السلطان ابن الاحمر فبث كتابه ووزيره بعد ابن
الخطيب وهو ابو عبد الله بن زمرك فقدم على السلطان ابي العباس
واحضر ابن الخطيب بالمشورة في مجلس الخاصة واهل الشورى
وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه فمظم عليه التكريه فيها
فوبخ ونكل وامتنع بالمداب بمشهد ذلك الملائم قل الى محبيه
واشتدوا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه وافتي بعض

النفهاء فيه ودرس سليمان بن داود وديف وزير السلطان لبعض
الاوغاد من حاشيته بقتله فقتله فطرقوا السجن ايلام معهم زعافه جاؤا
في ليل الخلد مع سرفاء السلطان ابن الاحمر وقتلوه خفنا في
عجسه واخرجوا شلوه من القيد على شافة قبره طريحا وقد جمت
له اعواد واضرمت عليه نارا فاحترق شعره واسود بشره واعيد الى
حفرة وكان في ذلك انتهاء محنته .

ثم قال : وعجب الناس من هذه السفاهة التي جاء بها سليمان
واعادوها من هتائه وعظم التكبر فهبجا عليه وعلى قومه واهل دولته
والله العمل لما يريد . وكان عفى الله عنه ايام امتحانه بالسجن يتوقع
مصيبة الموت فتجيش هوائه بالشعر يبكي نفسه وبما قال في ذلك
بعدنا وان جاؤنا البيوت * وجئنا بوعظ ونحن صموت
وانفاسنا سكنت دفعة * كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاما فصرنا عظاما * وكنا قوت فها نحن قوت
وصكنا شمس سماء الملا * غريتنا ففاحت عليها البيوت
فكنا جدلت ذا الحسام القلبي * وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سيق للقبر في خرة * فتي ملئت من كساء التخنوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطي * بوفات ومن ذا الذي لا يموت

فن كان يفرح منكم له * قتل يفرح اليوم من لا يموت
وقد ترجم للؤاف نفسه في اخر كتاب الاحاطة ونقل عنه المقرئ
في سبب تكبته ما خلاصته :

وخلفني يعني اياه عبد الله عالي الدرجة شهير الخطاة مشمول بالقبول
مكتنوا بالمانية فتادى السامان سره ولما يستكمل الشباب ويجمع
النسب معززة بالقيادة ووسوم الوزارة واستعماني في السفارة الى الملوك
واستجابني بدار ملكه ورمى الى يدي بخاتم سيفه وانتهى على صوان
حضرتيه وبنت ماله وسجوف حرمه ومعمل امتناعه . ولما هلك
السلطان ضمت ولده حظوتي واعلى عجلي وقصر المشاورة على
نصحي الى ان كانت عليه الكائنة فانقضى في اخوه المتقلب على الامر
فنجل الاختصاص وعقد القلادة ثم حله اهل الشحنة من اعوان
ثورته على القبض علي فكان ذلك وتقبض علي ونكت ما ابرم من امانتي
واعملت بحال ترفيه وبعد ان كبست المنازل والدور واستكثر من
الحرس وختم على الاعلاق واستوصات نعمة لم تكن بالاندلس من
ذرات النظائر ولا ربات الامثال في تبحر القلة وفراصة الحيوان
وعجلة المقار ونفاقة الالات ورفعة الثياب واستجارة المدة ووفور
الكتب الى الآتية والقرش والماعون والزجاج والطيب والذخيرة

والمضارب والابنية واكتسحت السائمة وثيران الحرث وظهر
الحولة وقوام الفلاحة والحيل فاخذ البيع وشاهبتها الاسواق
وصاحبها البخس وبرزاتها الخونة وشمل الخساسة والاغارب الطاب
واستخلصت القري واعلمت الحيل وطوقت الذنوب امد الله تعالى
بالعون وانزل السكينة وانصرف اللسان الى ذكر الله تعالى وتمقت
الامال به وطبقت نكبة مصحفية مطلوبها الذات حسبا قلت عند
اقالة العثرة والخلاص من الموات:

تخلصت منها نكبة مصحفية * فقدناها المنصور من ال عامر
ووصات الشفاعة في مكتبة بخط ملك المغرب وجعل خلاصي
شرطا في العقدة ومسألة الدولة فاتمقت حجة سلطانني المكبور
الحق الى المغرب وبالغ ملكه في بري : منزلا رحبا وعيشا خفضا
واقطاعا جما وجراية ما ورائها سرى وجملي بجله صادرا ثم
اسدق قصدي في تروء الخاوة بمدينة سلامه الصكوك منها
القرار منفقا بالها والخلع مخول المقار موفور الحاشية مخلى بيني
وبين اصلاح معادي الى ان رد الله تعالى على السلطان امير المسلمين
ابي عبد الله امير المسلمين ابي الحجاج ملكه وصار اليه حقه قطا بني
بعد ضررته وعمل في القدوم عليه بولده احكمته ولم يوسني عذرا

ولا فسح في الترك مجالا فقدمت عليه بولده وقد ساء بامساكه
رهينة ضده ونقض رهينة الفتح بدمه على حال من النشف والزهد
فيا يده وعزف عن الطاع في الملك وزهد في رده حسبا قلت
من بعض المقطوعات

قالوا لخدمته دعاك محمد * فانتهوا وزهدت في التنويه
فاجبتهم انا والمهين كاره * في خدمة المولى محب فيه
لما عاهدت الله على ذلك وشرحت صدرى للوفاء به وجمعت الى
الانتقال لبيت الله الحرام نشيدة املي وصرى نيتي وعلمي فعلق بي
وخرج لي عن الضرورة واراني أن . واذا ربه ابر القرب وراكتني الى
عهد بخطه فسح لعامرين الشواء واقتدى بشعيب صلوات الله عليه في
طلب الزيادة على تلك النسبة واشهد من حضر من العلية ثم دى الي
بعد ذلك بمقاييد رايه وحكم عقلي في اختيارات عقله وغضبي من
جفائي بجله وحذا في وجوه شهوته راب زجري ووقف القبول
على وعظي وصرف هواي في التحول ثانيا قصدي واعترف بقبول
نصحي . الى ان قال ومع ذلك فلم اعدم الاستهداف للشرور
والاستمرار للمحذور والنظر في الشرز المنبث من خزر الميون
شيمة من ابتلاه الله بسياسة الدهاء ورعاية سخطه ارضق السماء

وقلة الأسياء وعبدية الأهواء ممن لا يحمل لله إرادة نافذة ولا مشيئة
سابقة ولا يقبل معذرة ولا يحمل في الطلب ولا يتلبس مع الله بأهـب .
هذا ما قاله بنفسه في شرح تكملة فليتنظر العلماء والوزراء ما إذا كان
يحملة هؤلاء الرجال في سبيل إعلاء شأن أمهم وبث أفكارهم وإرائهم
وسياستهم وليعتبر كل المسلمين بالتاريخ فإنه فيه لنفس الماقل اعتبار .
وذكرى لقوم يقولون .



﴿ برنامج الكتاب ﴾

صفحة	
٢	فأتم الكتاب
٣	الغرض من تأليف الكتاب
٥	السبب في اختطاط مدينة مراكش وتاريخ بنائها
٦	السبب في خروج الامتوينين ونبدأ من اخبارهم
٧	لمتونة عرب لا بربر
٨	سبب دخول لمتونة المغرب وتلقاهم
٩	سبب خروج لمتونة من الصحراء الى المغرب
١٠	اصل تسمية المرابطين
١٢	سبب استلاء يوسف بن تاشفين على المغرب
١٣	تخلي الامير ابي بكر عن حقوقه في المغرب
١٦	سبب نقب ابن تاشفين بامير المؤمنين
١٧	كتابه لاهل حماته في ان يخاطبوه بامير المؤمنين
١٩	من ائمتنى من الملوك ان يكون خطابه بضمير التائب
٢٠	وفد الاندلس على ابن تاشفين لتكاتب الطاغية عليهم
٢٣	جواب ابن عباد عن كتاب الطاغية
٢٥	ما اشار به خاصة ابن عباد عليه

كتاب الادفش الى يوسف ابن تاشفين	٢٦
كتاب ابن عباد لابن تاشفين يستنصره	٢٨
كتاب ابن عباد لابن تاشفين من انشاء ابي بكر ابن الجلد	٢٩
شرط ابن تاشفين على ابن عباد تحليه له عن الجزيرة	٣٣
قبول ابن عباد شرط ابن تاشفين	٣٣
رؤيا الطاغية الادفش وما عبرت له به	٣٥
واقعة الزلاقة	٣٩
مكر الطاغية بامير المسلمين	٤١
كم قتل من النصارى في واقعة الزلاقة	٤٣
عدد رؤوس النصارى التي اجتمعت بين يدي ابن عباد	٤٤
قبض ابن تاشفين على صاحب المربة وتسلميه الى ابن عباد	٥٠
عهد ابن تاشفين لولده علي بن يوسف	٥٦
الزام اليهود للاسلام على بعض عمال البحرين معهم	٥٨
اول من استخدم الاروام بالمغرب	٦١
قدوم القاضي ابن رشد على الامير ابن يوسف	٦٥
اشارة ابن رشد على الامير في تسوير مدينة مراکش	٧١

سبب توجه ابن رشد لمدينة مراکش	٧١
كتاب ابن هود لامير المسلمين علي بن يوسف	٧١
حرق اهل غرناطة الاحياء للفرزالي ودعائه عليهم	٧٦
ادعاء ابن توصرت انه المهدي المنتظر	٧٨
اسماء العشرة الذين بايسوا المهدي اولا	٧٩
ما وثبه المهدي لاصحابه يعلمهم به التوحيد	٨٠
كتاب ابن توصرت الى ملئونة	٨١
حصار المهدي لمراكش	٨٣
نصيحة من اندلس لابن تاشفين	٨٤
سياسة الحروب	٩٣
يوم مقداس ووصف محاربة	٩٨
حصار مراکش	١٠٢
احصائية لقتلى ذلك الحصار	١٠٤
وفود اهل الاندلس لبيعة عبد المومن	١١٢
غزو عبد المومن لافريقيا واستلاؤه عليها	١١٣
احترام عبد المومن العلماء	١١٤

صفحة	
١١٤	اعتناؤه بالتأديب والتربية
١١٤	تشجيعه الناس بالمال على التعليم
١١٤	تصفيه دائرته من الجاهل وتويعهم بالعلماء
١١٥	قدومه الى المهديّة وما اجتازه من البلدان حتى وصلها
١١٥	عدد جنوده
١١٧	طرده للصنّاعين من المهديّة واستلاؤه على كل
	اقليم افرقيّا
١١٨	رجوعه الى المغرب ثم الاندلس
١١٨	واقعة الارك
١٢١	الخليفة ابو يعقوب المنصور
١٢٢	ابو عبد الله الناصر يوسف المستنصر
١٢٣	ابو مالك عبد الواحد محمد العادل المأمون
١٢٥	يحيى بن الناصر الرشيد بن المأمون
١٢٦	ابو الحسن علي عمر المرص
١٢٧	ابو دوس
١٢٩	ابو يوسف يعقوب

كتاب

الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية

تأليف

ذي الوزارتين محمد اسان الدين بن الخطيب

طبع على نفقة الفاضل السيد الحاج عبد الله بن
الحسين الكاكية الجراوي المغربي الدوسي والفاضل
السيد ابراهيم بن محمد العيسى

وعني بتصحيحه شريكها السيد البشير النورتي

وقد جرى طبع هذا الكتاب على نسخة عتيقة
جدا بخط بعض الاعلام من الاندلسيين

الطبعة الاولى

طبع بطبعه التقدم الاسلامية لصاحب البشير النورتي
بمنهج الفنى عدد ٣٤ تونس

وحرس لدير واستفتح المداين وحصر من حصر ونصر من نصر
جمع الله الجميع في مستقر رحمته وسلك بنا السبيل الى جنته بكرمه
ومنته وقصرت في ذلك كله على القليل خوفا من الاكثار والنفقته
من عدة من الاسفار مجموعة من دواوين العلماء الكبار ووضعت كل
نازلة في زمانها مندرجة في اسم سلطانها وسقت خبر ملوكها احسن
مساق على النظام من القول والتساق واقصرت في الدولة السنية
اليقونية والمرينية على التواريخ دون الاخبار جنحها للإيجاز وميلا
للإختصار اذ لا ينبغي هذا المختصر كل الاستيفاء بإخبار ومجلة الخلفاء
على اني لم اخله من قطع الاشعار ونكت الرسائل القصائر وتضمن
مسائل نادرة يتعجب من وقوعها وموعظة يعتبر بمسومها وواصف
كاثرة تصرح بخبر تالها ومتبوعها فيتصور للإنسان الحروب
ومكائدها ومن لم يشاهدها بنفسه فكأنه يشاهد بالكس اذا نظر
بقلته في اخبار الناس واطلع منها على وصف الحروب والمراس
قام له ذلك مقام المشاهدة والميلان وتثلث له الأحداث مصورة
بأوضح البيان فزيد المعرفة ذلك منكرة ونجرا وبكسبه تجريبا وتدريرا
وتقل مبالاة بالامور وقيل اعتباره بالامور الموهلة وقيل على
تصريف الايام من الصمود الى السهولة ولولا التواريخ لضاعت

مساعي اهل السياسة الفاضلة ولم تكن المدايح بينهم وبين المدام
وهي الفاضلة وجهات الدول ومات ذكر الاول وفي ضمن ذلك
معتبر وموعظة ومزيج يشيد قلوب الحكمة والهاما وطمس من فن
الراء المسددة منها ولهذا حين الابتداء بما اشترت اليه من الانباء
ولما بلغ الى هذا المقدار جرمه وجب ان يوضع اسمه ﴿ فسميته ﴾
كتاب الحظ الموشية في ذكر الاخبار المراكشية والى الله تعالى استعمل
ان يفتح الرشد وينسي الامل والقصد انه يجب السؤل ككفيل
بصلاح الاحوال فسميحه لانه الا هو الكبير المتعال ذو الجلال
﴿ ذكر السبب في اختطاط مدينة مراكن وشيائها ﴾
﴿ وارتداد موضعها ومكانها حرسها الله بمنه ﴾

سبب ذلك على ما نقله جماعة من علماء التاريخ ان الامير ابا بكر ابن
عمر ابن ابراهيم بن توقيت اللطفي لما خرج من الصحراء
باللتوينين واحتلوا باغيات وريكة وكثير اماكن بها وضيعوا على اهلها
وكانوا على حال صعبة شكى اليه اشباخ وريكة وهيلانة الى الامير
ابي بكر بن عمر ما ياحقهم في ذلك من العناء والمشقة ونهوه اليه المرة
بعد المرة الى ان قال لهم عيونا لنا موضعا نجي فيه مدينة ان شاء الله
فاجتمعوا على ان يكون بناؤها بين بلاد هيلانة وبين هزيرة فمروا

بذلك الأمير ابا بكر ابن عمر وقالوا له قد نظرنا لك فيها الامير
موضعا صحراء رحب الساحة واسع الفناء يابق بمقصدك وقالوا
يكون فليس جناها وبلاد ذكالة فدناها وزمام جبل درنة بيد اميرها
فمنذ ذلك ركب الملك ابو بكر ومعه قومه للمتمون واشياخ المصامدة
ووجوه الناس وصاروا معه الى محصر مر اكش وهو خلا لا انيس
به الا النزلان والنعام ولا نبت الا السدر والحظال وكان ذلك
سنة اثنين واربعماية فانتقل الى تلك الرحبة فوجدوا في محصنها من
المرح الخصب لاجبال والدواب ما غبطهم بها وشرع الناس في
الدور من غير تسور عليها فينبأ الامير ابو بكر بن عمر قد نزل بها
واخذ في بناء الديار اذ وفد عليه رسول من قبيلة لمتونة بالصحراء
بملونه ان جدالة غارت عليهم وكانت بينهم فتنة دائمة فاستخلف
ابن عمه يوسف ابن تاشفين على القرب ودخل الى الصحراء
لاصراخهم ولاخذ ثارهم من عدوم

ذكر السبب في خروج اللاتونين ونبدأ من اخبارهم

المقدمين

هؤلاء اللاتونيون ينتمون الى لمتونة وهم اولاد لمتونيات وجدالة
ولمطة ينسبون الى صنهاجة وهم طواغن في الصحراء رحالة لا يطعمون

بهم منزل وليس لهم مدينة يارون اليها ومداخلهم في الصحراء مسيرة
شهرين في شهرين ما بين بلاد السودان وبلاد الاسلام ومع على
دين الاسلام واتباع السنة وهم يجاهدون السودان (قال ابو عبد
الله ابن يحيى الزهري كان اهل بلاد السودان الذين حاضرتهم مدينة
غانة منشرين فيها سلف من الدهر بدين النصرانية الى سنة تسع
وسنين واربعماية فسلم اهلها وحسن اسلامهم وذلك عند خروج
الامير ابي يحيى ابن الامير ابي بكر بن عمر اللاتوني وليس بين لمتونة
وبين الدير نسب الا رحم وصنهاجة يرفعون انسابهم الى حمير وانهم
خرجوا الى اليمن وارتحلوا الى الصحراء وطهم بالقرب وسبب
ذلك ان احدا الملوك من التبايلة لم يكن فيمن تقدمه من ملوك قومه
مثله ولم يبلغ احد منهم فضله وعزة ملكه وبعد غزوه وتكاية عدوه
وقهر العرب والمجمل به فانهى جميع الاسم ممن كان قبله وكان قد
اخبره بعض الاحبار بحوادث الايام والكتب المنزلة من الله على
رسوله عليه الصلاة والسلام وان الله يبعث رسولا هو خاتم الانبياء
ورسوله الى جميع الامم فثامن به وصدق مما ياتي به وقل فيه شهدت
على احمد انه رسول الله ونظما في آيات من النثر

شهدت على احمد انه رسول الله بأرثي النسم

في آيات كثيرة ثم سار الى اليمن ودعى اهل مكنه لم يحبه الى ذلك
 الا طائفة من حمير ولما غلب اهل الكفر على اهل الايمان فكان كل
 من دامن به ووثقه بين قتيل وطريد ومطلوب وشريد فمض ذلك
 المشوا لعل ينساجم في ذلك الزمان وفيها باغهم وتفرقوا في
 الاقطار ايادي سبا فكان سبب خروج مذنب المؤمنين كما ذكر وكانوا
 اول من نائم ثم انتقلوا من قطر الى قطر ومن مكان الى مكان حتى
 صاروا بالتراب الاقصى بلاد البربر فاجتمعوا به واستوطنوه وصار
 اللثام زعيم الذي اكرمهم الله به ونجاهم لأجله من عدوهم فاستحسنوه
 ولازموه وصار زيا لهم بل لا عقابهم لا يفارقونه الى هذا العهد وانما
 خبر برمت السنتم لجاورتهم البربر وكوفهم بهم ولمصاعرتهم نيام
 والموجب لخروجهم من الصحراء الى وطن المغرب لب أحد بني
 جدالة كان قد توجه الى فريضة الحج واجتاز في اياه على مدينة
 الفيروان وذلك سنة اربعين ورمية فحضر بها مجلس الفقيه المدرس
 الى عمران القسي فسئل عن قبيلته ووطنه فذكر له انه من الصحراء
 من قبيلة جدلة إحدى قبائل صنهجة فدل له الفقيه ما مذهبيكم فقال له
 ما لنا علم من العلوم ولا مذهب من المذاهب لأثنا في الصحراء
 فمعتلمين لا يصل إلينا لا بمفر التجار جهال حرقهم الاشتغال بالبيع

والشراء لا علم عندهم وفيما اقرام بحرصون في تعليم القرءان وطالب
 العلم ويرغبون في التفتة في الدين لو وجدوا الى ذلك سبيلا فمضى
 يا سيدنا ان تنظر اليك من طلبك من توجه منا الى بلادنا ليعلمنا
 دينا فقال له انتميه ساطر لك في ذاك ان شاء الله تعالى فمرض الفقيه
 الامر على الطلبة فلم يوافقه احد بعد المشقة والاقطاع في الصحراء
 فدلله الفقيه على رجل من فقهاء المغرب الاقصى مستوطن بالسوس
 يدعى بوجاج مشهور بالخير والبادة كانت بينهما قراءة ومعرفة
 غاطيه في القضية واكد عليه في المشاركة فيما لما وصل اليه يحيى ابن
 ابراهيم المذكور اجتمع به ودفع اليه كتابه فرحب به واكرمه
 واختار له رجلا يعرف بهد الله ابن ياسين الجزولي من طلبة الشيخ
 المذكور وارسله معه ودخل الى الصحراء الى بلاد جدالة وهو
 مع يحيى ابن ابراهيم اللاتري كان قد دخل الاندلس في دولة ملوك
 الطوائف اقام بها سبع سنين يلزم القراءة فحصل عاها كثيرا ودعا
 الى المغرب الاقصى فسار معه الى قبيلة جدلة ففرحوا واجتمعوا
 عليه منهم نحو سبدين شيخا من فهاثم واهل الخير منهم يعلمهم
 ويفقههم في دينهم فأتقوا اليه اتقيا عذبا نظيفا ووالوه برا وتكرعا
 ولازموه مدة طويلة واجتمع عليه منهم عدد وافرا ان امر عبد

الله بن ياسين قبائل جدالة بنزوا لمتونة فحاربهم حتى دخلوا في دعوة
عبد الله بن ياسين وغزوا معه ساير قبائل الصحراء وحاربهم وقوى
امر جدالة وزاد في ظهورهم وهم يمثلون لامره منقادون لحكمه
وتوجه الى لمتونة فاقادوا له واطاعوه وكان اشده اقيادا اليه امير
لمتونة ابو زكرياء يحيى بن عمر وكان الامير ابو زكرياء اذا تقدم بجيشه
قدم امامه الشيخ ابو محمد عبد الله بن ياسين والشيخ كان في الحقيقة
الامير وهو الذى كان يامر وينهى وكان يقول لهم انما انا معلم دينكم
وكان ياتي لمتونة جبل فيه قبايل من البربر على غير دين الاسلام
فدعاهم الشيخ عبد الله بن ياسين الى الدين فاستمعوا عليه فاشار على
الامير ابى زكرياء بن عمر بنزوعهم فغزاهم بالمتونة وكان جيشه ازيد من
الف فارس فغزاهم وسبواهم وقبضوا اموالهم ونحوه سبهم فقال
ارى خمس قسمة للامتونيين في صحرائهم وفقد منهم في هذه المعركة
كثير وعند ذلك ساءم الشيخ ابو محمد عبد الله بن ياسين بالمرابطين
لما راي من شدة صبرهم وحسن بلائهم على المشركين قال ابو عبد الله
البكري وكان لمتونة في قتالهم شدة وبأس ليس لغيرهم وبذلك ملكوا
الارض وكان قتالهم على البخت اكثر من الخيل وكان مقام قتالهم
مرمحين يقنون على اقدامهم صفا بمد صف يكون بين الصف الاول

منهم القنا الطوال وكانوا يختارون الموت على الانهزام ولا يحفظ لهم
قوار من زحوف ولما راي الشيخ ابو محمد عبد الله بن ياسين استقامة
لمتونة واجتهادهم اراد ان يظهرهم ويحكمهم بلاد المغرب فقال لهم انكم
صبرتم وانصرتم دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فتحت ما كان
امامكم وستفتحون ان شاء الله ما وراءكم فامرهم بالخروج من الصحراء
الى سجلماسة ودرعة واهلها يومئذ تحت طاعة امراء مغراوة من
زناتة واميرهم يومئذ سمود بن وانود بن خزرون بن فلقول
الخرجي وذلك بعد ما خاطبهم فلم يجيبوهم على ما طلبوا منهم فغزاهم
في جيش كثير حتى غلبوا عليهم ودخلوا سجلماسة وملكوها وكانت
بها اناس كثيرة وكانت بينهم وبين مغراوة حروب كثيرة وبعد ذلك
توجه الامير ابو زكرياء يحيى بن عمر مع امامه الشيخ ابو محمد عبد
الله بن ياسين بجيش ككثيف من لمتونة ومسوفة ولطة وهزرجة
وسار بهم الى بلاد درعة فقاتلوا هناك مع جيش جدالة فقتل
الامير ابو زكرياء يحيى بن عمر وقتل معه بشر كثير ولما كان بعد
ذلك قدم الشيخ ابو محمد عبد الله بن ياسين اقام الامير ابو بكر بن
عمر فبايعته لمتونة وسائر الماشقين واهل سجلماسة ودرعة وانصرف
الى بلاد الحصامدة بقصد اغاث وطاعت له وريكة وهيلانة وهزرجة

وكان وصوله لاغات سنة خمسين واربعمائة فتألفه اشياخ المصامدة
واذعنوا له بالطاعة واحتل مدينة اغات واستوطنها مع امامه عبد
الله بن ياسين ثم انصرف الشيخ ابو عبد الله محمد بن ياسين الى بلاد
تامسنا ليسكنهم ويحضرهم على الطاعة فقتله بربر غواطة ولما كان في سنة
ستين واربعمائة استقامت الامارة للامير ابى بكر بن عمر وطاعت
له البسلاد ووجه جماله اليها واستوطن مدينة اغات وتوالت عليه
الوفود والجيوش من الصحراء فكثر الخلق وعظم لازدحام باغات
فشكوا اليه ما يجدونه من ذلك وشاروا عليه بالانتقال الى فخص
مراكش فانتقل اليها حسبا تقدم قبل هذا وفي اثناء مقامه بلغة ما كان
من ظهور جدالة على لمنونة فشرع في العودة الى الصحراء واستخاف
على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين

ذكر يوسف بن تاشفين رحمه الله

نسبه هو يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن تورتيت ابن منصور
ابن مصالة الجبيري وفي ابراهيم يجتمع مع ابني عمه الاميرين اللذين
كانا قبله ابى زكرياء وابى بكر بن عمر ابن ابراهيم بن تورتيت
وكنيته ابو يعقوب بن سير بن ابراهيم على ابو الطاهر تميم المعز
ووزلوه صهره سير ابن ابى بكر وكانت خلافة من اول ولايته

بالمغرب باستخلاف ابن عمه الامير ابى بكر بن عمر اليه وانصرافه
الى الصحراء الى حين وفاته اربعاً وثلاثين سنة وبالاندلس من يوم
خلفه لعبد الله بن بلقين الى حين وفاته سبع وعشرين سنة ولما اخذ
ابن عمه الامير ابو بكر بن عمر في الحركة في الصحراء حسبا تقدم
ذكره انفا وولاه المغرب مكانه على صورة النيابة عنه وقسم الجيش
فترك له الثلث من لمنونة وانصرف بالثلثين معه داخلا الى الصحراء
وذلك في سنة ثلاث وستين واربعمائة فلما قام بعد يوسف بن تاشفين
مدبرا للامور قائما بالملك واشغل ببناء الحصن المسمى بحصن قصر
الحجر برحبة مراكش وحصله تحت سور وابواب وحصنه ولما
كان في سنة اربع وستين واربعمائة قري امره وعظمت شوكته
فاشترى جملة من البيد السودان وبعث الى الاندلس فاشترى
منها جملة من الملوح فاركبهم وانتهى عنده منهم مائتان وخمسون
فارسا شراء ماله ومن العبيد نحو الفين فاركبهم فرسانا فلما حجاب
وعظم ملكه واقترض على اليهود في تلك السنة فريضة قليلة اجتمع
له منها مال استعان به على ما كان بسبيله ولما كان في سنة خمس وستين
واربعمائة وصل الامير ابى بكر بن عمر من الصحراء وعاد الى المغرب
بعد اخذه بثار قومه واصلاح من شانهم فنزل باغات خارج المدينة

ونزلت محلة جائرة به والقي ابن عمه يوسف بن تاشفين قد استولى
 بالملك وطاعت له بلاد المغرب فلم انهزم على الاستيلاء بالملك
 وتسابق اكثر اصحابه ممن وصل معه الى مراکش لرؤية بنيانها
 والسلام على يوسف ابن تاشفين اميرها وكان قد سمعوا عن ضخامته
 وجزيل مكراته واحسانه لاخوانه ومعارفه فاجتمع عنده من
 القادمين على كثير من الخلق فوصى لهم على قدر منازلهم واعطاهم
 بمقدار مراتبهم وامر لهم بالكسوة الفاخرة والخيول المسومة
 والاموال الجمة والعبيد المتعددة ولما تشوف الامير ابو بكر بن عمر
 على احوال ابن عمه يوسف بن تاشفين وعلم حبه في الملك وانه قد
 استمال نفوس من معه باحسانه واقطع وجاؤه من الملك طلب منه
 تعيين يوم لاجتماعها فيه اخرج الامير يوسف ابن تاشفين في جنوده
 وعبيده وتلفاه في نصف الطريق فكان اجتماعها ما بين الغمات
 ومراسك على تسعة اميال منها فسلم عليه راكبا على دابته ولم تكن تلك
 عادته قيل ثم ترجلا وقيما على برنس فمضى بهما بحضر البرنس
 فهو يعرف بذلك الى هذا العهد فتعجب الامير ابو بكر بن عمر
 مما راي من ضخامة ملكه ووفور عساكره وترفية جنوده وتحدث معه
 ثم قال يا يوسف انت اخي وابن عمي ولم ار من يقوم بامر المغرب

غيرك ولا احق به منك وانا لا اغنا لي عن الصحراء وما جنت الا
 لاسلم عليك وسلم الامر اليك ونمود الى الصحراء مقر اخواننا
 ومحل ساطاتنا فشكره يوسف ابن تاشفين على ذلك واثني عليه
 وسخر اشياخ المنونة واعيان الدولة وامراء المصامدة والكتائب
 والشهود والخاصة والعامة واشهد على نفسه بالتخلي له عن الامر
 بوطن المغرب وقام فردعه الامير يوسف بن تاشفين وعاد الامير
 ابو بكر الى موضع نزوله من اغات ورجع يوسف بن تاشفين الى
 مراکش موضع ملكه ولما وصل اليها بعث اليه بهدية اهداها اليه
 كان مقام ما فيها خمسة وعشرين الف دينار من الذهب والبن وسبعين
 فرسا منها خمسة وعشرون مجهزة بمجاز على بالذهب وسبعون سيفا
 منها عشرون محلات والخمسون غير محلى وعشرون زوجا من المماز
 المحلات بالذهب ومائة وخمسون من البغال المنخيرة الذكور والاناث
 ومائة حمامة مقصورة واربعائة من الشوشى ومائة ففسارة ومائتين
 من البرانس منها بيض وكل وحمر ومائة شفة من الكتان وغير
 ذلك ما يمدى للملوك وعشرون جارية من الابكار ومائة خادم وغير
 ذلك مما يطول ذكره من البقر والغنم والقمح والشعير وكتب اليه
 كتابا يعتذر فيه اليه ويرغبه في قبول الهدية ويقول له كل ذلك قليل

في حقلك فطابت نفس الامير ابي بكر وقال خير كثير ولم يخرج
 الملك من بيتنا ولا زال عن ايدينا فسالوا اخوانه من تلك الخبرات
 وانصرف الى الصحراء فاقام بها ثلاثة اعوام والامير يوسف ابن
 ناشفين يمد به الهداية والنصح الى ان قتله السودان المجاورون له
 في الصحراء في بعض الحروب التي كانت بينهم وفي سنة ستة وستين
 واربعماية فتح الامير يوسف بن ناشفين مدينة مكناسة واستنزل
 منها الخير الكثير من خزائن الزناتي وفي سنة ثمانية وستين
 واربعماية فتح مدينة فاس وفي سنة ثمان وستين بعدها فتح مدينة
 تلمسان وكان اميرها العباس بن يحيى الزناتي ويوسف بن ناشفين
 كان يدعى بالامير فلما ضحمت مملكته واتسعت عمارته اجتمعت اليه
 اشياخ قبيلته واعيان دولته وقالت له انت خليفة الله في ارضه وحقل
 اكبر من ان يدعى بالامير بل ندعوك بامير المؤمنين فقال لهم حسنا الله
 ان تسمى بهذا الاسم انما يسمى به خدامي العباس الكونهم من
 تلك السلالة الكريمة لانهم ملوك الحريين مكة والمدينة وانا راجعهم
 ولقائهم بدعوتهم فقالوا له لا بد من اسم يتنازه وبعد ما اجاب الى
 امير المؤمنين وناصر الدين فخطب له بذلك في المنابر وخطب به من
 المدونين وامر كتابه ان يكتبوا في ذلك فكتبوا ونصوا فيه ما نصه

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
 وسلم ولما من امير المؤمنين وناصر الدين يوسف بن ناشفين
 الى الاشياخ ولاعيان والكافة من اهل فلانة ادام الله كرامتهم
 بتقواه ووفقه لما يرضاه سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته
 (اما بعد) حمد الله اهل الحمد والشكر ميسر اليسر وواهب النصر
 والصلاة على محمد المبعوث بنور الفرقان والذكر وانا كتبناه اليكم
 من حضرة الملية بركات حرسها الله في نصف عجم سنة ستة
 وستين واربعماية وانه لما من الله علينا بالفتح الجسيم واسبح علينا من
 انعمه الظاهرة والباطنة وهدانا وهداكم الى شريعة نبينا محمد المصطفى
 الكريم صلى الله عليه افضل الصلاة واتم التسليم وايضا ان نخصص
 انفسنا بهذا الاسم لندناز به على سائر امراء القبائل وهو امير
 المسلمين وناصر الدين فن خطب الخطبة الملية السامية فيخطبها
 بهذا الاسم ان شاء الله تعالى والله ولي العدل بتمه وكرمه والسلام
 وكانت علامة الملك والمظلة لله قال كاتب هذا وقد جرى في مدة
 خليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد ثامن الملوك من بني
 امية الاندلس مثل هذا وذلك انه يدعى بامير المؤمنين الناصر لدين
 الله وواقع هذين الاسمين على نفسه وقد مضت من خلافته ستة

عشر سنة وكان ذلك سنة ست وعشرين وثلاثمائة وتسع بما كان
يدعى اولاً من اسم الامارة بعد ان سلك في ذلك مسلك ابائه منذ
استخلف الى هذه السنة قد كان لمر فضله وتصرف الايام لجاربه
واطباق النفوس على تحليه وتمظيم صفاته رسماً ذكره وربما كان
بعض اولي الفضل والتأمل من الناس سموه بهذا الاسم قبل ان
يلبسه دهره وخاطبه به كثير من خاصتهم في كتابهم وشارحه فكثرت
ذلك عليه ووافاه من كل ثنية وجاءه من كل ناحية حتى اضطره الى
حمله وحاجره بان يكون باخساً لنفسه في رفضه وهو قوي عليه
مخالفة ابائه باقتصارهم على سواه واستشهدوا عليه بما فهمه الله
اجاب في الحكمة دون والده عاينها الصلاة والسلام فانفذ الكتاب
بذلك الى عماله في جميع اقطار الاندلس واوصى باجراءه هذين
الاسمين على الاسنة في مخاطبته في الكتب عنه واليه والدعاء له
بما على منابر عماله واشياعها في اعلامه ومطاردته وطرازه ودنائبه
ودراهمه ونفذ الامر بذلك وجرى العمل عليه الى آخر مدته
وصيره كلمة باقية في عقبه سلكوا به في ذلك الى فراض دولتهم
والنسخة التي انفذ بذلك الى عماله باظهار الاندلس باسم الله الرحمن
الرحيم (اما بعد) فانا احق ممن استوفى حقّه واجدر من استكمل

حظه وليس من كرامة الله ما اليه للذي فضلنا الله به وظهر اثرنا
فيه ورفع سلطاننا اليه وبسر على ايدينا ادراكه وسهل بدولتنا صرامه
وللذي اشاد في الافاق من ذكرنا واعلا في البلاد من امرنا واعلا
من رجاء المملين بنه واعاد من انحرافهم اليها واستبشارهم بما اخلنا
بدولتنا فالجدة ولي الانعام باهل الفضل بما تفضل علينا به وقد
راينا ان تكون الدعوة لنا يا امير المؤمنين وناصر الدين وخروج
الكتاب منها ووروده علينا بذلك اذ كل مدعو به بهذا الاسم عيونا
متجالة ودخل فيه ومتسم بما لا يستجته منه علمنا ان التباذي على
ذلك الواجب لنا من ذلك حق اقتضاه واسم ثابت اسقطناه فامر
الخطيب بموضمك ان يقول به واجر مخاطبتك لنا عليه ان شاء الله
والسلام وبعد ذلك بـ سنة خرج ايضا عهداً ونقد كتابه ان يكون
الخطاب كله جواباً بالكتابة عنه الهاء التي هي كناية الغايب دون
الكاف التي هي للمخاطب فرقاً بينه وبين من دونه وان يلتزم ذلك
اهل المملكة وان تخرج كتبه بالخبر عن مخاطبته تعظيماً لندره واكباراً
لحله فجري الرسم بذلك قال كابه هذا ان تتبع هذا النوع يخرج
منه عن الغرض المقصود من الاقتصار فاعود الى ما كنت بسبيله من
التعريف باخبار الامير يوسف بن تاشفين واقفتح مدينة تلمسان

في سنة ثمان وستين واربعمائة وكان اميرها العباس بن محمد الزناتي
ولما كان في سنة سبعين واربعمائة شرع في تجديد العساكر ورفودها
وبعث الى الصحراء للمتونة ومسوفة وجدالة وغيرهم يعلمهم بما فتح
الله عليه من ملك المغرب وطاعة اهله ويؤكد عليهم في القدوم فوفد
اليه منهم جموع كثيرة ولاهم الاعمال وصرف اعيانهم في مهمات
الاشغال فاكتسبوا الاموال وملكوا رقاب الرجال وكثروا بكل
مكان وساءدم الوقت والزمان وكثرت جموعهم ووفرت عساكرهم
وعظم ملك يوسف بن تاشفين وضم من جزولة ولطة وقبايل زناته
ومصمودة جموعا كثيرة وساهم بالحشم وضم طائفة اخري من
اعلاجه واهل دخاته وحاشيته فصاروا جموعا كثيرة وساهم الدخايل
فاجتمع له في الطائفتين ثلاثة الاف فارس وفي سنة اربع وسبعين
واربعمائة وفد عليه جماعة من الاندلس وشكروا اليه بما حل بهم من
اعدائهم فوعدهم بمرادهم واعانهم كان ممن كتب اليه حين ذلك المنوكل
على الله ابن الافطس جرت بينه وبين ملك الجلائقة خطوط كثيرة
وال حال المسلمين بمالته الى النصف والاستيلاء على بلادهم وخاطبه
ملك الجلائقة بكتاب يرعده فيه ويرق ويشطط عليه في اداء وظيفته
من المال كل سنة فجوابه بما نصه : وصل اليك من عظيم الروم كتاب

مدع في المفادير واحكام العزيز القدير برعد ويرق ويجمع تارة ثم
يفرق ويلدد بمجنوده الوفرة واحوله المتظافرة ولو علم ان الله جنودا
اقر بهم كلمة الاسلام واطهر بهم دين نبينا محمد عليه السلام اعز
على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون بالله وبى يمرفون
وفي التوبة يتضرعون ولئن لمعت من غلب الروم بارقة فبدا الله
دايعلم المؤمنين وليميز الله الخبيث من الطيب ويدل المنافقين اما
فيمرك للمسلمين فيما وهي من احوالهم فيالدوب المركوبة ولو اتفقت
كلماتنا مع سائرنا لمن الاملاك علمت اي اصاب افئدة كذا كانت
باباؤك تتجرعه فلم تزل تدقيقها من الحماض ضروب الالام شؤما تراه
وتسده واذا المال تنورعه وبالا س كانت قطيعة المنصور على
صانعك اهدى ابنته اليه مع الدخائر التي كانت تعد كل عام عليه واما
نحن ان قلت اعداؤنا وعدم من المخلوقين استمدادنا فما بيننا وبينك
بحر نخوضه ولا صعب نروضه لا السيوف تشهد بحد ما رقاب قومك
وجلاذ تبصره في ليالك ويومك وبالله تعالى ولا تنكته السووين
انقوى عينك ونستهين ليس لاسوى الله مطلب ولا لنا الي غيره مرجع
وما تدر بصون بنا الا احدي الحسنين نصر عليكم فيالها من نعمة ومنة
او شهادة في سبيل الله فيالحسان حجة وفي الله النوض مما به

هددت وفج فتر بما مدت وقطع بك فيما اعددت ورجع الخبر
الى الامير يوسف بن شافين وذلك انه لما وفد عليه جماعة من الاندلس
حسبا تقدم فذكره بث الى الاندلس برسم اهل العدد والالت فاشترى له
منها كثير وكان ذلك العام عام اقتناء العدد ونحاذ السلاح واقتناء الاجناد
واختيار الرجال فبلغ جيشه الى اثني عشر الف فارس كلهم نخبة الجهاد وجاز
الى الاندلس اربع مرات في الجوز الاول سنة تسع وسبعين
واربع مائة وذلك ان اهل الاندلس لما بانهم ما كان عليه من القوة
والاستعداد والنجدة والجهاد وفد عليه جماعة من وجوهها فاخبروه
بحالها وبكباب العدو عليها وكان الطاغية ادفنش في سنة ثمان وسبعين
واربع مائة قد غلب على طليطلة واستولى على اعمالها وحازها الفقه
وكثر لردع على الاندلس واشتد الخوف وطرق المعتمد على الله
ابن عباد ولما ملك ادفنش اعمال طليطلة وطمع في الاستيلاء على
الجزيرة كلها وهايت الملوك امره لكون طليطلة نقطة دثرها خايط
المعتمد على الله ابا القاسم بن عباد يهاب منه تسليم اعمال الى ربه
وعماله يشط عليه في الغاب واطهر السرور في القلب فيما خاطبه به :
من الانبياء ذوي المئين الملك لفضل الادفنش بن شافين الى المعتمد
بالله سد الله رايه وبصره مقاصد الرشاد سلام عليك من مشيد

شرفه العنا وثبت في المني فاعتزله ازاز لرحم به الله والسيف بساعد
حاله وقد اجرت ما نزل بطليطلة وانطارها وما صار باهلها حين
حاصر بها باصار في هذه السنين فاسلمت اخوانكم وعظمت الرعاية
زمانكم والحذر من يقط بالله قبل الوقوع في الحيلة ولولا عهد
لنا بيننا لحفظ ضمامه ونسعى بنور الوفاء اماه لهنس بشا محوكم
ناهض المزم ورايده ووصل رسول العدو وارده الكون الانذار
يقطع الاعذار ولا يجعل الامر خوف الفوت فيما يرومه او خشي
الغلبة على من يسومه وقد حملنا على لرسالة اليك القرمط اليرها نس
وعنده من التمريد الذي ياتي به امثلاك والمقل الذي تدبر به بلادك
ورجالك فيما وجب استنابته فيما يدق وبجل وفيما يعلم لا فيما يحل
وانت عند ما تأتي به من ورائك والنظر بسد هذا رث ورائك
والسلام عليك بسعي بينك وبين يديك ولما وصل الكتاب الى المعتمد
ابن عباد جاب عليه بخطه (وبعد) من الملك المنصور بفضل الله
المعتمد على الله محمد بن المعتمد بالله ابي عمر بن عباد الى الطاغية
الباغية ادفنش بن شافين الذي لقب نفسه بملك الملوك وسماها بذي
المئين قطع الله بدعواه سلام على من اتبع الهدى اما بعد في فانه
اول ما تبدأ به من دعواه انه ذو المئين والمساوون احق بهذا الاسم

لان الذي يلك من امصار البلاد وعظيم الاستعداد وعجيبي الملكة
 لا تبلغه قدرتك ولا تعرفه منكم ونما كانت سنة سعد يقظ منها
 مناديكم واغفل عن النظر السديد فركبنا مركبا عجز نفسه الكيس
 وعاطيناك دعة كؤوس قلت في انائها ليس باديك تمل اما في المدد
 والمديد والنظر السديد ولدينا من كات القوسان وحيل الانسان
 وحماة الشجعان يوم يلتقي الجمعان رجال تدعوا الصبر وصرخوا
 الفقر تسيل نفوسهم على حد الشفار وتغاهم الهام في القمار يدبرون
 رضى المنون بخركة الزايم ليهشفون من خطب الجنون بخواتم
 الزايم ولما تستجير ان تامر ناسلام البلاد في ارجالك ونالتهجب من
 استعجالك براي لم يحكم انجاز ولا حسن انخابه واعجابك بمرغ
 وفنتك فيه الاقدار واغررت بفتك اسوا اغترار قد اعمه والك
 ولقومك جلاله اولية الاتقي وشفارا حدادا شجدة الاصفاق وقد
 ياتي المحبوب من المكروه والتدم من عجلة الشهوة بهت من غفلة
 طال زمانها وايقظت من نومة عاد ايمانها وتى كانت لاسلافك
 الاقدمين مع اسلافك الاكرمين يد صاعدة او رفة مساعدة الا
 ذل تعلم مقداره ونحتق ناره والذي جرك على طلب ما لا ندركه
 فقم كالجر لا يقاوتكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر

ظن الماقل تمقل والدول لا تمقل وكان بيننا وبينك من المسألة ما
 اوجب القعود على نصرتهم وتدير امورهم ونسال الله سبحانه العفوة
 فيما اتيهنا في انفسنا وفيهم من ترك الحزم واسلامهم لا عايدهم فيهم وفي
 انفسنا من ترك الحزم والحمد لله الذي جعل عتوبتنا نوحك وتقريبك
 بما اطارت من دونه وبالله نستعين عليك ولا تستعطي مسيرتنا اليك
 والله ينصر دينه الكريم ولو كره الكافرون والسلام على من علم الحق
 فاتبه واجتنب الباطل وخدعه وان المعتمد على الله ابن عباد كان قد اشار
 اليه خواصه بمصالحة الادفش وعقد السلم معه على اداء مال معلوم
 عن كل حول فكل عن ادائه اضعف بلاده وجلاء اهلهما عنها فاقترض
 على اهل اشبيلية فريضة اقترض فيها اكثرهم وانجلا ماخرون فوصل اليه
 رسول الادفش ومعه اليهودي ابن شائب لقبض مال الجزية على
 عادتهم في كل سنة ونزلوا خارج اشبيلية فوجه اليهم المعتمد ابن عباد
 المال المعلوم مع بعض اشياء اشبيلية منهم ابن زيدون وغيره فلما
 وصلوا الى خبائه واخرجوا اليه المال والسيالك فقال لهم اليهودي
 والله لا اخذت من هذا الميار ولا اخذت منه الا مشعرا ولا يوخذ
 منه في هذا المام الا اجفان البلاد وزاد في كلامه ونقص واساء
 الادب المعتمد خبره فدعا ببيدته وبعض جنوده وامرهم بالخروج

لقتل اليهودي واسر من كان معه من النصارى ففعل ما امر به من ذلك فلما بلغ ذلك لادفش اقسم بايمان مظلة ان لا يرفع يده عنه وانه يحشد من الروم عدد شعر راسه ويحصل بهم بحر الزقاق فكان ذلك . وخرج لادفش في جيش لا يحصى كثرة وافسد في الشرق فسادا كبيرا وحرقه واجتاز عليه فاصاد حصن طريف فوقف على شاطئ بحر الزقاق والموج يضرب اوساخ فرسه وخطاب الامير يوسف بن تاشفين بما نصه : من امير المائتين لادفش بن برهذه الى الامير يوسف بن تاشفين هو اما بعد . فلا خفاء على ذي عينين انك امير المسلمين بل الملة المسلمة كما انا امير الملة النصرانية ولم يخف عليك ما عليه رؤساؤكم بالاندلس من الخافذ والتواكل والاهمال للرعية والاخلاد الى الراحة وانا اسوهم الخسف فاغرب لذياب واهتلك الاستار واقتل الشبان واؤسر الولدان ولا عذر لك في التخلف عن نصرتهم ان امكنتك فرصة هذا وانتم تعتقدون ان الله تبارك وتعالى فرض على كل واحد منكم بمسيرة منا وان قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار ونحن نعتقد ان الله ظفروا بكم واعاننا عليكم ولا تقدرعون دفاعا ولا تستطيعون امتناعا وبلغنا عنك وانك في الاحتفال عن نية الاستقبال فلا بدري اكان الجبن يفتي بك ام التكبذب بما انزل

عليك فان كنت لا تستطيع الجواز فابت الى ما عندك من المراكب يجوز اليك انظر ك في احب البقاع اليك فان غلبتي فلك نعمة جلبت اليك ونعمة شملت بين يديك وان غلبتك كانت لي اليد العليا واستحكمت الامارة والله يتم الارادة . فامر امير المؤمنين يوسف بن تاشفين ان يكتب اليه على ظهر كتابه جوابا لادفش ما نرى : لا ما نسمع ان شاء الله وارودف الكتاب بيت ابي الطيب المتنبي ولا كتب الا المشرفة والقنا * ولا رسل الا الخيس المرسم وكان ابن عباد قبل هذا لما راى امره في اديار وان لادفش قد عزم عليه وشاور خاصته ورجوه دولته في شأن استدعاء يوسف بن تاشفين فاشاوروا عليه بمدارات لادفش والناس معه هدنة وعقد السلم على ما يذهب اليه من الشروط وسكيف ما امكن وان ذلك اولى . من تجوز المرابطين . ثم انه خلا بعد ذلك بابنه وولي عهدده الرشيد ابي الحسن عبيد الله وقال له انا في هذه الاندلس غريب بين بحر مظلم وعدو مجرم وليس لنا ولي ولا ناصر الا الله تعالى وان اخواننا وجيراننا ملوك الاندلس ليس فيهم نفيع ولا يرجى منهم نصرة ولا حيلة ان نزل بنا مصاب او نالنا عدو ثقيل وهو اللعين لادفش قد اخذ طليطة من ابن ذي الفون بعد سبع سنين وعادت دار كفر

وها هو قد رفع رأسه اليها وان نزل علينا بطليطة ما يرفع عنا حتى
ياخذ اشبيلية ونرى من الراى ان نبث الى هذه الصحراء وملك
العدو يستدعيه للجواز ليدفع عنا هذا الكلب اللعين اذ لا قدرة لنا على
ذلك بانفسنا فندنا لجوازنا ونذكر بل تبردت اجنادنا وابغضتنا الهامة
والخاصة فقال له ابنه الرشيد يا ابي ادخل علينا في اندلسنا من يسلمنا
ملكنا ويبدد شملنا فقال اي ابي والله لا يسمع عي ابي اعددت
الاندلس دار كفر ولا تركتها للنصارى فتقوم على اللعنة في منابر
الاسلام مثل ما قامت على غيري في حزن الاجبا والله عندي خير من
حرز الخنازير فقال له يا ابي فعل ما امرك الله فقال ان الله لم يلهمني
لهذا الا وفيه خير وصلاح لنا ولكافة المسلمين فاستفتح بخطبته
وجعل يستصرخه ويستدعيه بمكاتبات من انشائه وانشاء كتابه من
خطه ما نمسه : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى اله وصحبه وسلم تسليما الى حضرة الامام امير المؤمنين وناصر
الدين محيي دعوة الخليفة الامام امير المؤمنين ابو يعقوب يوسف
ابن ناشئين القائم عظيم اكبارها الشاكر لاجلالها المعظم لما عظم
الله من كريم مقاديرها اللانثى بجرأها المنقطع الى رسم مجرأها
المستجير بالله وبطولها محمد بن عباد سلام كريم ينخص الحضرة

المعظمة السامية ورحمة الله تعالى وبركاته كتب المنقطع الى كريم
سلطانها من اشبيلية في غرة جمادى الاولى سنة تسع وسبعين
واربعمائة وأنه ايد الله امير المسلمين ونصره الدين فانا نحن العرب
في هذا الاندلس قد تلقى قبائنا وتفرق جمعنا وتغيرت انسابنا
بقطع المادة عنا من صنيقتنا نصرنا فيها شعوبا لا قبائل واشتاتنا
لا قرابة ولا عشائر قتل نصرنا وكثر شامتنا وتولى علينا هذا
العدو المجرم اللعين ادفش واناخ علينا بطليطة ووطئها بقدمه واسر
المسلمين واخذ البلاد والقلاع والحصون ونحن اهل هذه الاندلس
ليس لاحد منا طاقه على نصرتنا جارة ولا اخيه ولو شاءوا ففعلوا الا ان
الهواء والماء منهم عن ذلك وقد ساءت الاحوال وانقطعت الامال
وانت ايدك الله سيد حمير ومليكها الاكبر واميرها وزعيمها نزعنا
بهتى اليك واستنصرت بالله ثم بك واستنذت بحرمك لتجوز الجهاد
هذا العدو الكافر وتحيون شريعة الاسلام وتدينون على دين محمد
عليه الصلاة والسلام ولكم بذلك عند الله الثواب الكريم والاجر
العظيم والسلام الكريم على حضرتهكم السامية ورحمة الله تعالى وبركاته
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولا بما كتب في استدعائه
من انشاء طلبته وتنسب لابي بكر بن الجند الى الملك المؤيد بفصل

الله امير المسلمين وناصر الدين وزعيم المرابطين ابى يعقوب يوسف
بن تاشفين نور الله به الافاق وجعل بهائم الجيوش ورفاق من الملك
المفضل نعمة الله المستعجب برحمته الله المتعبد على الله محمد بن عبد
السلام على حضرة نجدد ايمانها واشهر امانها وبعد فان الله سبحانه ايد
دينه بالاتفاق والاتلاف وحرم مسالك الشتات ودعى الاختلاف
وامن على عباده بامن جديد وقوم اولي باس شديد وتطول علينا
بمعلوم جدك وقد جعلك رحمة تحي عنها ربوع الشريعة وخلفك
سلما الى الخير وذريعة وقد طرا على الاسلام حادث انسى كل هم
وهت الذكبات بوقوعه وذلك عدوا طلع في البلاد شتات وبين
اختلاف سببه من لم تطروا له في الدعوات غير تقوى وتضعف
وتتقي وتختلف وتلتاح معاشين من عافى الزمان وتناسخ الامان
وقد جانا اخرته وواعاه ووعده واياده اسلم له المنابر والصوامع
والطاريب والجوامع ليقيم بها الصلوات ويستنقب بها الرهبان ومما
اصلمه اهتمامه ايانا بالدعوة والملاوفا في الحب والسعة الله استجير
لما ابطنه واعجبا علينا وطنه وقد وطن الله لك ملكا شكره الله عليه
جراذك وقبالتك بحقه واجتهادك ولديك وليت الخير باعث بهملك
لى نصر مناره واقتباس انواره وعندك من جنود الله من يشتري

الجنة بحمائه وبحضر الحرب بثالائه فان شئت الدنيا فنطوف دانية
وجنة حالية وعيون دانية والان ان اردت الاخرى بجهاد لا يغتر
وجلاذ يحين الفلاح ويستر هذه الجنة ذخرا هذه الجنة ذخرا الله
اضلال سيوفكم واجمال معروفكم نستعين بالله ولائكم وبكم على
الكافرين كما قال سبحانه وهو اكرم العالمين فائقهم يعذبهم الله بأيديكم
ويجزمهم وينصرهم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين والله يجمعنا على
كامة التوحيد نصبرها ونعمة الاسلام نشكرها ورحمة الله نتحدث
بها ونشرها والسلام الموصول الجزيل على امير المسلمين وناصر
الدين ورحمة الله ~~هو~~ ولما ~~في~~ ترادف خطابه عليه ووقف على مقتضى
ما كتب به وعما ذكر من معناه اطالع عليه اخوته وبشرهم وقال
لهم ما ترون فيما كتب به هذا لرجل وكان هؤلاء المرابطون قوما
صرايون ولم يعاينوا قط نصريا ولا شهدوا حربا الا ما يكون
بينهم وكانوا يريدون ان يغزوا ويدخلوا الاندلس فلما استشارهم
امامهم قالوا له ايد الله امير المسلمين اما ما ذكرتم من استئانة هذا
الرجل بكم فواجب على ~~كل~~ مسلم يومن بالله ورسوله اغائة اخيه
المسلم واخرى فانه لا يحل لنا ان يكون جاريا وبيننا وبينه ساقية ماء
فسقوه طمة للعدو وهذا مما ترونه والامر لله ولا مير المسلمين

وبعد ذلك خلا بأحد كتابه وهو عبد الرحمن بن اسبط وكنان
 اندلسيا من اهل البرية واستشاره فقال له ان الامر لله تعالى ولكم
 فقال له ومع هذا فقل ما عندك فقال له واجب على كل مسلم اخوة
 اخيه المسلم والاتصار له غير ان لي كلاما انويه اليكم فقال له قل ما
 عندك يا عبد الرحمن فقال له ايد الله الامير تعمرون الثمن وسبعة
 اثمان يعمرها التصاري وهي ضيعة عرجة حريجة سجن لمن دخلها
 لا يخرج منها الا تحت حكم صاحبها وان انت جرت اليها وحصت
 فيها ما يكون لك في نفسك شيء وهو الرجل الذي استغفرك ما
 بينك وبينه عتاب قديم ولا صداقة متصلة ويتق اذ قضى الله
 الغرض من العدو امسكك بها والحال كما ترونه والنظر اليكم فاكتبوا
 اليه فانه لا يمكنك الجواز الا ان يعطيك الجزيرة الخضراء فنجعل
 فيها اقلالك واجنادك ويكون الجواز بيدك متى شئت فقال له صدقت
 يا عبد الرحمن لقد نهيتني على شيء لم يخطر بآلي اكتب له بذلك
 فكتب له ما نصه : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
 وعلى آله وصحبه وسلم تسليما من امير المؤمنين وناصر الدين معين
 دعوة امير المؤمنين الى الامير الاكرم المؤيد بنصره لله تعالى المنة
 على الله ابي القاسم محمد بن عباد ادام الله كرامته بتقواه ووقفه لما

برضاه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (ما بعد) فانه وصل خطابكم
 الكريم فوقفنا على ما تضمنه من استدعائنا لنصرتك وما ذكرته من
 كرمك وما كان من قلة حامية جيرانك فنحن عين لشباك ومبادرون
 لنصرتك وحمايتك وواجب علينا ذلك من الشرع وكتاب الله
 تعالى وانه لا يمكننا الجواز الا ان تسلم لنا الجزيرة الخضراء تكون لنا
 لكي يكون جوازنا اليك على ايدينا متى شئت فان رايت ذلك فاشهد
 على نفسك بذلك وابعث الينا بعهودنا ونحن في اثر خطابك ان شاء
 الله . ولما ورد هذا الخطاب على ابن عباد قال له ابنه الرشيد يا ابي
 الانتظر الى ما طاب فقال له يا بني قليل في حق نصرة المسلمين فجمع
 ابن عباد القاضي والفقهاء وكتب عهدة الجزيرة الخضراء لبوسف
 بن تاشفين وتسليمها له بمحض ذلك اجمع وبث بها اليه وكان ابنه
 الراضي يزيد اذ ذك صاحب الجزيرة فاصر باخلاصها والانتقال عنها
 ولما وصله العمد والخطاب بالناكيد في الجواز استنفر جميع حشوده
 وبث في البلاد الى جنوده ورحل الى سبتة فقام بها واخذ في تجوز
 عساكره حتى لم يبق منهم احد وجاز في اثرهم ودخل الجزيرة ولما
 بلغ ابن عباد جوزه استعد للضيافة الحافلة والهدايا وقد كان يحكمها
 ويحتفل فيها لما احتل لبوسف بن تاشفين بالجزيرة شرع في بناء

أسوارها وما تشمت من إراجها وحفر الحفير عليها وشحنها بالاطمة
والإساحة ورتب فيها عسكريا نقيما من نخبة رجاله واسكنهم بها ورحل
نحو أشبيلية فتنازه ابن عباد على مرحلة من الجزيرة فسلم عليه وعج
ابن عباد بتقبيل يديه فبادر لماعتته وسأله عن حاله وانيسط معه في
الحديث وهناك ابن عباد بالسلامة ولحقت ضيافة ابن عباد فقامت
جميع الحملة على حال كبيرها وركب ابن عباد فدار بالحملة ونظر إلى
الساكن فرأى عسكريا نقيما ومنظرا به فأنتم بشك أن ذلك الجميع لا
يخلو عن نصرة وإن للمعين أذنت لا محالة مهزوم فكان كما كان
فحمد الله وأثنى عليه وسجد لله سجدة غفر وجهه في التراب تواضعا
لله سبحانه ونهضت الساكن نحو أشبيلية والهدايا المستظرفة والضيافة
الحافلة والمؤلفات الرغدة حتى وصلوا إلى أشبيلية فتنازوا بها ثلاثة
أيام وأرتحلوا إلى بطليوس وقد كان يوسف بن تاشفين كتب إلى ساير
الأندلس يستنفرهم إلى الجهاد ويستدعيهم للحاق بحالته فلحق بها
الأمير المظفر أبو محمد عبد الله بن بلقين من باديس صاحب غرناطة
وعملاله وأخوه المستنصر تميم صاحب مالقة وراجع صاحب المرية
المعصم بالله أبو يحيى محمد بن معز بن صادح بمنذر بسبب العدو
اللاصق له بمحس لبيط من عمل الوردية ولحق بمن وصل من

الرؤساء والأجناد وخف من المطوعين للجهاد فلقبهم التوكل الأفضل
على ثلاثة مراحل من بطليوس واحتفل لحسم بالضييف والمسلم
والقرى الواسع وقد كان بين يوسف بن تاشفين أمير المسلمين وبين
عدوه مخاطبات منها أن يوسف بن تاشفين لما دنا من بطليوس على
مقربة من فحص الزلافة قدم إليها كتابا على مقتضى السنة يعرض
عليه الدخول في الإسلام أو الجزية أو القتال من فصوله : وقد بلغنا
يا أذنتك أنك تحث إلى الاجتماع بك وتعتد أن تكون لك فلك
تعبير البحر عليها التناقد اجزائه اليك وجمع الله في هذه العروسة بيتنا
وسينك وسترى عاقبة ادعائك وما دعاء الكافرين إلا في ضلال فلما
وصل الكتاب إلى أذنتك وسمع ما كتب به إليه جاش بحر غيظه
وزاد في طغيانه وكفره ابتمل هذه المخاطبة بمخاطبتي وأنا وأبي نكرم
الجزية لأهل ملته منذ ثمانين سنة واقسم أن لا يبرح من مكانه الذي
نزل فيه وقال يزحف إلى فاني أكره أن اللقاء قرب مدينة تعصمه
وتمنني منه فلا أشق نفسي بقتله ولا أباع أهلي فيه بئس وبينه هذا
اليسيط المتسع فاعلم السفير أمير المسلمين بانحنائه وما أظهر من
طغيانه وكبريائه وقد كان قبل خروجه إلى هذا اللقاء وهو بطليطة
دعى رؤيا وذلك أنه كان يرى في النوم في بعض الأيالي كأنه راكب

على قيل والى جانبه طبل معاق وهو يضربه فاستيقظ فزما صرعا
مذعورا فلما اصبح بعث الى النصارى واحبار اليهود وقال لهم انى
رايت رؤيا افزعتنى وذكر لهم نصبا وقال لهم وما هاتى وافزعتنى الا
ان القيل ليس فى بلادنا ولا عابده قط ومن اين لنا به فانظروا في
تاويل هذه الرؤيا فسروها لي فقد افزعتنى وما عانت منها فقالوا له
القيسيون والاحبار ايها الملك تاول رؤيتك على انك تغرم جميع
المسلمين وتغنم اموالهم وتسيب عائلاتهم وتأخذ بلادهم وترجع الى وطنك
عزيرا ظافرا واما القيل الذي كنت ترصكه فهو هذا الملك القادم
صاحب البر الكبير المشترط للقتال تركبه بالرغم وتذله بمثل ذلك
القيل اعظمه ولكون القيل من الصحراء وهذا من الصحراء يمتون امير
المسلمين يوسف بن تاشفين مثل لك به فقال نفسي تحذني وهي صادقة
انكم في تفسيركم لنامي على باطل وما تعرفون شيئا من دراهمه الى
جماعة المسلمين بمن حضر مجلسه من قبا السالكين بلادهم فقال لهم
اتملون هنا احدا من العلماء المسلمين فقالوا له نعم هنا رجل من فضلاء
المسلمين وعلمائهم يعرف محمد بن عيسى المنفى يقرأ في مسجده فقال
لهم انطلقوا اليه واتوني به فانطلقوا اليه وقالوا له ان الملك يدعوك فقال
لهم وما حاجته في فقالوا له انه رأى رؤيا افزعته وقد فسرناها له اسفة

النصارى واحبار اليهود فلم يرض بقولهم ولا صدقهم فقال لهم والله
لا اله الا كافر ابداء فقالوا له اتى الله على نفسك من سطوته فقال لهم
ان الله وامي وحافظي واخير والشر بيده فطمعوا به ليصل اليه فابى
ورجعوا الى ادفنش فقال لهم وابن الرجل الذي توجهتم اليه لحسنوا
له الاقنظ واعتدروا عنه وقالوا له ايها الملك ان الرجل عابد ورع ونحن
المسلمون عبادنا ما يرون في دينهم ان يغشوا ابواب الملوك فان رأى
الملك ان يلقى اليانا من الكلام ما نأيه من عنده بجواب شاف فعل
فقال كنت ارى كذا وكذا وقص عليهم رؤياه فانطلقوا الى اتقييه ابي
عبد الله المنفى فوجدوه يقرأ بمسجده داخل طليطة ومن بقي بها من
المسلمين فقصوا عليه الرؤيا وقالوا له دبرها في نفسك حتى تاتي اليانا
نصها نفسرنا له فقال لهم الامر فيها قريب اعلموا انه سيمنزله
للمسلمون هزيمة قبيحة يخرج منها مغلولوا في نفر يسير من اصحابه
والدليل على ذلك من كتاب الله العزيز في قوله تعالى (لم تر كيف
فعل ربك باصحاب القيل لم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم
طيرا ابابيل ترميهم بحجارة) عنى بها الباري جل وعز ابرهة الحبشي
واما الطبل الذي كان يضربه فن قوله تعالى (فاذا نقر في النافور فذلك
يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) فرجعوا اليه واعلموه بنص

ما عجز لهم فقطب وجهه وقال ردين المسيح لئن كذب لا مثيل به
 فيبلغ الخبر للفتية المغامري فقال والله ما يقدر على ذرة الا باذن الله
 وقضائه وانا واثني بالله ربي ولا قوة الا بالله العلي العظيم وان
 ادفنن لعنه الله نسي تلك الرؤيا واخذ في جمعه
 وحشده وناهب للقاء المسلمين واحتفل في الاستعداد وخرج
 ومعه ثمانون الف فارس منها ارميون الفا لابسين الدروع وكانت
 بها من فرسان المسلمين اربعة وعشرون الف فارس مائين
 دراع وحاسر ومن المرابطين واهل المغرب مائيت على اربعة وعشرين
 الفا ولما احتلت عساكر المسلمين بظاهر بطليوس واحتل الادفنش
 بخصم الزلافة على اربعة فراسخ من بطليوس قدم يوسف بن
 تاشفين بين يديه على مقتضى السنة والسلامة كتابا يعرض عليه فيه
 الدخول في الاسلام او اداء الجزية او الحرب وقال بلغنا يا ادفنش
 انك دعوت الاجماع بك وتميت ان تكون لك تلك نهر البحر عليها
 اينما فقد اجزناه اليك وجمع الله في هذه العرصة بيننا وبينك وسترى
 عاقبة ادعائك وما دعاء الكافرين الا في ضلال فلما صدم امير المؤمنين
 سمعه بما كتب اليه جاش بحر غيظه وزاد في طغيانه وكفره وقال
 بمثل هذه المخاطبة يخاطبني وانا وابي نغرق الجزية لاهل ملته منذ

ثمانين سنة والله لا نهضت من مكاني فابزحف الي في هذا الفحص
 فانما اكره ان اللقاء قرب مدينة تصمد او حصن يمدني منه فلا اشق
 نفسي بقتله ولا ابليح املي فيه فيبني وبينه البسيط المتشح (كما تقدم في
 نص هذا المکتوب) فاعلم السفير امير المسلمين باتحاده وما ظهر من
 طغيانه وكبريائه ثم كتب الى امير المسلمين مكرما منه يقول ان غد يوم
 الجمعة لانحب مقابلتكم فيه لانه عيدكم وبعده السبت يوم عيد اليهود
 وهم كثير في علمنا وبعده الاحد عيدنا فنحترم هذه الاعياد ويكون
 للقاء يوم الاثنين فقال امير المسلمين اتركوا الاعمين وما احب حدث
 ابو محمد عبد العزيز ابن الامام احد خواص المتمدن ابن عباد قال كنت في
 عسكره عند توجهه مع يوسف بن تاشفين الى لقاء ادفنش بن
 فرلنده ملك قشتالة في غزوة الزلافة وهي اول غزوة غزاها
 المرابطون بالاندلس وكان الفاس يرسلون برحيل امير المسلمين
 يوسف بن تاشفين وينزلون بنزوله تقديرا ورعا لما كان من الامر
 وعظيم الملك ووفور المدد وجودة الراي وكمال العقل فسمعنا طوله
 تقرب وقيل امير المسلمين يتقدم الى المدو فاسر ابن عباد منجمه
 بتتبع طالع الوقت والنظر فيه قال فوجدته بحسب ما تقتضيه اصول
 تلك الصداقة دالا على ان الدائرة تكون على المسلمين وان الظفر

والغاية يكون للمشركين قال فاشفق المعتد من ذلك وكره اعسلام
امير المسلمين به لنفاذه من الاستدلال بالنجوم والتظاهر بها والعمل
بها ولم يمكنه غير مساعدة الانتقال معه فبينما هو يحاول ذلك اذ
خفت الاصوات وهذات الضجة وجاء من اعبر ان امير المسلمين
قد بدا له في الانتقال من مفاخه فلما كان بعد ساعة من ذلك اليوم
بعينه عادت الاصوات وضربت الطبول فامر ابن عباد متجهم باخذ
طالع الوقت والنظر فيه فوجدوه اوفق طالع واسعد نصبة له وادلها
على الظفر للمسلمين والدائرة على الكافرين حسبا جرى الامر عليه
قال فتعجبت من ذلك ومن قوة سعد يوسف بن ناشئين وقال
هذان المصنوع لهم المعنى باصرهم الماهمين الى رشدهم بالدين
ليخبر لهم النوفق ويخبرهم البخت وذلك كله بشيئة الله تعالى
وساير علمه ونافذ حكمه وكتب اليه من منزله المذكور
هذه الايات

غزو عليك مبارك في طيه الفتح القريب
لقد سبغك الله * سخط على دين الصليب
لا بد من يوم يكون * له اخ يوم القليب
فكانه نفاق بالغيب فكانت الهزيمة على الامين يوم الجمعة الثاني عشر

لرجب القرد سنة تسع وتسعين واربعمائة فلما كان يوم الجمعة استعد
الامين للقاء المسلمين لياخذهم على حين غفلة غدوا منه وارتقى في
ربوة مع جماعة من زعماء قومه لبصر اعداد جيوشه فاعجب ما راى
من كثرتهم ولعان دروهم فقال لابن عمه غريسة هذا اليوم لنا فيه
الغلبة على المسلمين فقال له غريسة ان كان سبق لك بذلك القضاء
فقال انا الغالب سبق او لم يسبق فقال له ابن عمه انى لا احضر معك
اليوم هذا اللقاء واعتزل بناسه وكانوا نحو الف فارس فعند ذلك
تقدم بجيوشه قاصدا محلة المسلمين فاقتبل طلائع ابن عباد والروم
في اذيالهما والناس على طابانية وقد كانوا اتفقوا ان يكون المعتد ابن عباد
في غاب المقدمة والمتوكل ابن الافطس في ميمنتها واهل الشرق في
ميسرتها وسائر اهل الاندلس في السانة والمرايطين واهل المدونة
كايين منفردة تخرج من كل جهة عند اللقاء فلما علم ابن عباد بقدم الصاغية
عليه باذر الركاب على غير تعبية ولا اهبة وغشيتهم خيل العدو
كالسيل وعمتهم كقطع نابل وظنوا انها وهلة لا ترفع فوافق محلة
ابن عباد في طريقه باهل اشبيلية وسائر جماله فوقت بينهم حروب
صعبة كانت الدائرة فيها على اهل اشبيلية استأثر الله فيها بارواح
شهدت لها الرحمة وخطبتها الجنة وخرج ابن عباد منها بجراحه وابلى

في ذلك اليوم بلاء حسنا وانشد في ذلك اليوم شعرا قاله في انشاء
الحرب يذكر ابنه زبد الدولة الملقب ابا هاشم
ابا هاشم هشمتي الشفار * فله صبري لذك الاوار
ذكرت شيخيك ما بينها * فلم يستحي حبه للقرار
ثم العسكر من المسلمين لانفسهم وحلوا على ملة الادفنش حملة صادقة
وقد كان امير المؤمنين يوسف بن ناشين على حين غفلة لم يكن عنده
علم بما وقع فكانت محالته بعيدة عن محلة ابن عباد حتى بعث اليه ابن
عباد كاتبه ابن التميمية فاخبره فركب واحدق به زعماء لتوبة وكبار
صنهاجة وسائر عسكره قصد بهم محلة الطاغية فالتحقها واضربها نارا
وضرب طبوله فاهتز لها الارض وتجاوت لافاق فارناعت فلوهم
وتخلفات ادفنشهم وراوا النار تشمل في محلتهم وتام الصريح بهلاك
اموالهم واخبيتهم فسقط في ايديهم فالتروا اعنتهم ورجعوا قاصدين
محلتهم فالتحدث القتلن واختاط المذنان واشتدت الكرة وعظمت
الهجمات والحرب تدور على اليمين وتاجن رؤوس رجاله ومشاهير
ابطاله وتقذف بحبلهم من يمينه وشماله وتدعى الاجناد والحشم
والعبيد للنزال والترحيل على ظهور الخيل ودخول المترك فامن الله
المسلمين وقذف الرعب في قلوب المشركين وتحطوا بن عسكر ابن

عباد وعسكر يوسف بن ناشين وفي انشاء ذلك تلحق بالطاغية
ادفنش غلام اسود بيده خنجر يدعو البرابر بالاطاس قطع جرز
درعه وعلته في غفلة مع بدد سرجه فكان ادفنش يقول بعد ذلك
التحق بي غلام اسود فضرني في التخذ بمنجل اراق دمى فتخيل له
الاطاس انه منجل لكونه رداه معوجا فر امانه وسيوف المسلمين
تبعه حتى القوه الى ربوة اعتصموا بها لتعذر مرتقاها وحدثت بها
الخليل فقال لهم امير المسلمين يوسف بن ناشين الكلب اذا ان وهم
لا بد ان يعض وقد سلم الله المسلمين من معركته ولم يقتل منهم الا
القليل فان هجمت على هؤلاء ابلوا بلاء عظيما ولكن اتركهم ولا حظوا
حالم فلما جن الليل فروا واصبحوا يوم السبت فلم يوجد لهم اثر ثم
اثنى امير المسلمين عاتله فزلل ونزل الناس بغزوه وقد باه الله بصارمه
لك الشوكة واستاصل واثلك الجوع المشركة ولم يفلت منهم كثر
من صحاب عويصة الذي اعتزل عن القتال وهم نحو اربعمائة افلتوا مع
الطاغية وسكانت هذه النزوة التي اظهر الله فيها دين الاسلام
ونصر حزيه ونفس عنه كبريه ولم يكن في الاندلس
غزوة اعظم منها قتل فيها من النصارى نحو ثلاثمائة الب قال الفقيه
ابو يحيى بن اليسع ذكر جماعة ممن حضرها انه وجد فيها اقوام من

الروم عليهم دروع محصنة قطعت السيوف اوساطها مع الجثة قال
وانتدب المسلمون في موضع المعركة الى قطع رؤوس النصارى
فجمع منهم اعداد واكداس كالصوامع الخفية ونظروا طول قناة
كانت في المحلة فنصبت ورست الرؤوس حوالها فنهطها قصر الفقيه
ابو سروان الغدري وكان ممن شهد تلك الواقعة وممن له ملازمة
بتلك الامور ان عدد الرؤوس التي جمعت بين يدي ابن عباد بانفت
الى اربعة وعشرين الف رأس . ولما فرغ الناس من هذا الفتح
تناول ابن عباد ظفارة كاعده على عرض الاصبع وكتب فيها سطرين
الى ابنه الرشيد وفتحه الله : اعلم انه التقت جموع المسلمين بالطاغية
اهفش العين ففتح الله للمسلمين وهزم على ايديهم المشركين
والحمد لله رب العالمين فاعلم بذلك من قبلك من اخواننا المسلمين
والسلام . وكان عند الزوال من يوم الجمعة وعاق الظفار من جناح
حمام كان احتمله معه لهذا الحال فكان الناس باشيية انقط ما كان
في ذلك اليوم فوصل الحمام من يومه وقرات على الناس بمسجد اشبيلية
فهم السرور وكثر الدماء ثم بعد ذلك وردت الكتب فشرح مجمع
هذا الفتح الجليل ثم كتب المتمدن ابن عباد والمتوكل بن الافطس
والمظفر عبد الله بن باقر وكل من شهد الحرب من الملوك الى

الافاق مبشرين بما شئى الله به الصدور واذهب غيظ القلوب
وملمن بما افاء الله عليهم من اقبالهم وكان مما كتب به المتمدن بن
عباد الى حاضرة اشبيلية وسائر اعماله من انشاء الكتاب ابي عبد الله
ابن عبد البر النمري ومن فصوله لما كان يوم الجمعة الثاني عشر
لرجب سنة تسعة وتسعين واربعمائة سقى الله امرأيسر اسبابه وفتح
لنا الى الفرج والفتوح بابه وعطف علينا القابل للثواب العاقر للذنوب
والتقينا مع الطاغية الباغية الذي اجاب الموت داعيه واخرى التوفيق
مساعيه بعد غدر ابداه وجرى فيه مدهاء وكان تواعدنا معه للثقتي
في سواء فأتى وانقض بجرور ذيل فخاره والقيب يشهد عليه بما ارداه
والقدر يعلمنا انه طعمة من نواه فاستشرنا انه ابتداء بالقدر الذي يرديه
وتمجمل ساوئك طريق لا تهديه وتحققنا انها مقدمة فتح سميت
ونوامس سعد مبيت والنصر لا تخفى دلالة واليمن لا تستقره
غلائله ففرح اخواننا المسلمون بالانصاف واتصافوا بالاعتراف
والانصاف وجرت البساط ذبول الزرود وشكت الشفار فدل
الصميل للفرند ولما احوالك ايل الحرب واغاطش وغار ماء تلحها
فاعطش طلع فجر السعادة فانجح واذا من كتب السلامة اصبح
الصباح وعن قريب طلعت شمسها تشرق وتهلك الكافرين وتحرق

ليس دونها حجاب يستر شعاعها ويحجب لماعها ولما تسامت الرؤوس
واحدق الرئيس بالمرؤوس ظللنا نتركن الميامم وكانها من اعجب الاحلام
نائم ولما صعد المؤذنون اكراما فنهض ابد الابد من هاماتهم وحصدتها
بوترافضتها بلاماتهم اعلنوا بكلمة الاخلاص فوق اذان وعث ما كانت
عنه صمت وادبعت انزلت القدم على ما كانت به همت وقرت العين
وانشروحت الصدور وانشرقت الارض كلها بهذا النور وهذا وفقكم الله
فتفتح الفتح انذار بين يرى نحو امينصر يمجى فيه الحصر وقد كان في
اول اللقاء جولة على المسلمين فضل الله فيها بالشهادة ان اهتم بامانيها
ثم انزل - كنيته فخطبت نصال المسلمين وقاب الكافرين فانكحتهم
ابكارا صانها حبال الفانور وحجبتها ستور الطوارق عن عيون المواتر
ولما هرا الامانووه من كرم نفوس جرت مقطوعة وحشت الى
الخيرات مستمة فقلهم الله انقلهم ووعدهم النصر فافوى لهم فنلقوا
رحمكم الله هذه النعم بالشكر كما تلتينا وقرلوا الحمد لله رب العالمين
على نعم اصبحنا فيها وامسينا والله يوصانا بالقاييد ويشفعها بالتوفيق
والتسديد والسلام - ولما قضى الله بهذا الفتح الجليل والصنع الجليل
قام المسلمون في جمع اسلاهم وضم عدد من ايام فأتت ثلاث ايديهم
بالتنايم الوافرة والسبي الكثير واكتسبت الناس فيها من الالات

الحروب والاموال وسيوف الحلى ومناطق الذهب والفضة ما اغتنام
وكان يوم لم يسمع بمثله من اليرموك والقادسية قبالة من فتح ما كان
اعظاه ويوم كبير ما كان اكرمه فيوم الزلافة اثبتت قدم الدين بسدد
زلافتها وعادت ظلمة الحق الى اشراقها نفست وخلق الجزيرة بمض
النفوس واعتز بها روس الاندلس فجزى الله امير المسلمين
وناصر الدين ابني يعقوب ابن تاشفين افضل جزاء المسلمين بما بل
من ارقاق ونفس من خناني ووصل لنصر هذه الجزيرة من حبل
وتجسم الى تلبية دعائهم واستبقاء دمايتهم من حزن وسهل حتى هزموا
على يده المشركون وظهر امر الله وهم كارهون قال محمد بن الخلف
ولما فرغ من واقعة الزلافة وانصرف اهل الاندلس الى بلادهم ورد
عليه خطيب اوجهه ونبا افججه بموت ابيه ابني بكر فمجل اياه الى
المدرة وقد انقضى في عدوه وطره هذا هو تضييع الخبر عن جواز
الاول الى الاندلس (الجواز الثاني) كان سنة احدى وثمانين
واربعمائة سببه حدث الوزير ابو بكر بن عقاب قال لما كان بعد الزلافة
بستينين وفدت على امير المسلمين يوسف بن تاشفين بمحاضرة من اكش
جملة من الاندلس من اهل بلنسية ومرسية ولورقة وسبتة فشكوا
له ما حل باهل بانسية من اهل الكليطور وكان من ملوك الروم

حاصر بلنسية سبع سنين حتى دخلها وشكوا له ما حل بأهل مرسية
وأعمال لورقة وبسطة من شأن لبيط وهو حصن حصين على رأس
جبل شاهق بينه وبين لورقة نصف يوم تملكه المدو وكانت سراياه
تسير مشرقا ومغربا إذا كان في موسطة بلاد المسلمين فلم ينزل وجوه
الاندلس من تلك البلاد يترددون اليه بالشكوى حتى وعد بالجواز
اليهم إذا تمكن الفصل ثم إن ابن عباد تحرك من اشبيلية في خاصته
وعبر البحر إلى يوسف بن تاشفين فلقاه بالدخلة على وادي سبوا
فلقاه بوجه طلق وصدر رحب وأكرام جم وقال له ما السبب الذي
دعاك إلى الجواز إلينا وهلا كتبت فقال له جئتك احتسابا واجتهادا
واعترافا للدين وقد أجرى الله الخير على يدك وخفك مما جئت به
إلا وفرو قد اشتد ضرر النصاري على حصن لبيط وعظم أذاه للمسلمين
أنوسطه في بلادهم ولا جهاد أعظم منه أجرا ولا أهل في الميزان
وزنا فتلقى أمير المسلمين مقصده بالقبول ووعده بالحركة والجواز
فاستعشه واستوفى منه وصار إلى حاضرة اشبيلية وتقدم إلى كل طبقة
من أهل مملكته بالاستعداد وأكثر من أعمال السهام والبطارد وعمل
الرعادات وغير ذلك من الآلات ولما رتب أشغال العزمهده أحواله
وكل من ذلك ما حوى له اتصل به قدوم أمير المسلمين وجاز البحر

واستقر بالجزيرة الخضراء فلقاه ابن عباد على عادته بما يقدر عليه من
المكرمات والمبرات وأثناء أمير المسلمين كتابه للملك الاندلس
يستدعيهم للجهاد معه وللموعد حصن لبيط فأجئوا على مائة واستدفر
صاحبها المستنصر بالله تميم بن يمين بن باديس وتلاحق به المظفر
عبد الله بن يمين صاحب غرناطة والمعتصم بن صاهد من الموية
وتوافى رؤساء الاندلس من شقورة وبسطة وجيان ومن كل مكان
ولما جاءهم من مرسية النجارون والبناءون والحدادون واضطربت
الحلة محدقة بحصن لبيط وكان بداخله من الروم ألف فارس واثني
عشر ألف راجل واتصلت السابلة وكثر الوارد واتصلت الحروب
على الحصن ليلا ونهارا وكل أمير من أمراء الاندلس يقاثل في يومه
بجيلة ورجله مداولة بينهم وتماذى ذلك أشهر واجتمع المعتصم بن عباد
ويوسف بن تاشفين وظهر لهما من حصانه ومنعته واستمضاء ثقبه
ما ينسهم عنه وأنه لو كان دون سور لكان شفا جرف عاصما لمن فيه
وأنه لا ينأى لهم أخذه إلا بالمطاوله وقطع مادة القوم عنهم وكان من
جملة من وصل من رؤساء الاندلس ابن رشيق صاحب مرسية
النار بها على المعتصم ابن عباد فشكى ابن عباد لابن رشيق لا أمير
المسلمين وذكر اعتدائه عليه وأنه دفع حياته مصادمة للطاغية ادفش

خضر ابن رشيق واستغنى يوسف بن تاشفين في امرهما الفقهراء
فوجب الحكم على ابن رشيق فامر يوسف ابن تاشفين بالقبض عليه
واسلامه في يد ابن عباد ونهاه عن قتله فقتله ابن عباد فهرب الى
اللبقين اصحاب ابن رشيق وقرابته وجميع محبته الى مرسية وتزلوا
بها ومنعوا الميرة عن المحلة فاختلفت امورها ووقع الفيلاء بها ورفع
السعر فيها فضاقت بالناس الاحوال وفي اثناء ذلك استصرخ اهل
الحصن سلطانهم فاخذ في الحشد ويوم الحصد في امم لا تحصى
فاقتضى راي يوسف بن تاشفين التوسعة عن الحصن والتأهب للقاء
فناخر بمحلبته الى ترابسة وهو موضع الماء والتمر وظهر له اذا ادفش
اذا وصل فغايته تخليص قومه واختلاء الحصن ونزول ضرره وان
الصواب خلاء الطريق له ولما وصله اللعين وجد قوما جبابغا لا يقدرون
على امساك الحصن فاحرقه واخرج من فيه من قومه وجرى يوسف
من مسكره جيشا ينيف على اربعة الاف فارس بهته الى بلنسية
واردف بعده عسكريا عظيما قدم عليه محمد بن تاشفين الى جهة بلنسية
وانصرف من هناك الى المدوة فتحرك الجميع بحركته وعادوا الى
بلادهم وهذا تلخيص خبر جوازته الثاني الى الاندلس هو الجواز الثالث
كان جوازته الثالث في سنة ثلاث وثمانين واربعمائة سببه انه لما كان

على حصن لبيط نقل اليه على ملوك الاندلس كلام لا احفظه واوغر
صدره عليهم وهو الذي ازعجه الى المدوة ولما تبين لهم تغييره عليهم
واعراضه عنهم نظروا كل واحد منهم لنفسه بقاية جرمه فاول من شمر
ذلك وتظاهر به وجد فيه المظفر عبد الله بن بلقين ابن باديس
واتصلت اباؤه يوسف بن تاشفين فاشد غضبه واستزاد حرجه
عليه ولما احتل بالجزيرة انخضراء واذا ابن عباد فنتقاه بمادته من
التظيم واحتفل في التضييف والتكريم وتواتت عليه الاخبار من
الامير عبد الله بن بلقين بما يفيضه ويحتمده فاستنزل من مملكة اخاه
المستنصر تميم بن بلقين وتوجه الى غرناطة فلقه المظفر عبد الله بن
بلقين خارج الحاضرة فسلم عليه وترجل اليه ودخل معه البلد فسلم
اليه الامر وقام يحظر في توشة البلاد وعميد الامور واحتماه واخاه
المستنصر تيمنا الى المدوة وسكنها باغاث وقد استوفى الكلام في هذا
لامير عبد الله بن بلقين في الكتاب الذي اليه في دولة قومه وكان
المعتمد بن عباد والمتوكل ابن الافطس قد قدما عليه بغرناطة يهنيانه
بما تنهاله من ملك غرناطة وماله فلم يقبل عليهم وانصرفا عنه الى
بلادهما وادرك ابن عباد الندم على استدعاء يوسف بن تاشفين الى
الاندلس وقال خليفته المتوكل ابن الافطس والله لا بد له ان يسقينا

من انكاس التي اسقى بها عبد الله بن بلقين ولما عاد ابن عباد الى اشبيلية
 اخذ في بناء الاسوار وحمل القنطرة فقال ابنه ابو الحسن عبد الله
 الرشيد الم اقل لك يا ابيت يخرجننا هذا الصحراوي من بلادنا ان انت
 اودته علينا قال يا بني لا ينبغي حذر من قدر ولما كان في سنة اربعة
 وثمانين واربع مائة تحرك يوسف بن تاشفين الى سبتة لجواز عساكره
 للامتونية الى الاندلس لمنازلة ملوك الطوائف وحصارهم في بلادهم
 وفي اثناء مقامه بها امر ببناء المسجد الجامع بسبتة والزيادة فيه فزاد
 فيه حتى اشرف على البحر وبنى البلاط الاعظم منه وامر ببناء سور
 الميناء السفلى وشرع في جوارهم فقدم ابن عمه الامير سيدي ابن ابي
 بكر على عسكر وامره بمحاصرة ابن عباد باشبيلية واعد اليه انه اذا
 قضى من شأنه فيتقدم لبلاد الموقول ابن الافطس وقدم ابا عبد الله
 بن الحاج على عسكر ثاني وامره بمنازلة الفتح الملقب بالمامون ولد
 للمعتد بن عباد بقرطبة وقدم ابا زكريا بن واسنوا على عسكر ثالث
 وامره بمحاصرة المعتصم محمد بن معز بن صдах بالمرية وقدم جرور
 الحبشي على عسكر رابع وامره بمنازلة يزيد الرضي ولد للمعتد بن
 عباد بن ثمة فجوز المسافر وانصرف كل فريق الى حيث امره
 واقام هو بسبتة مترقبا لاسبابهم متشوقا لما يحدث عنهم وكان منهم

بالاندلس ما هو مشهور الاستيلاء على بلادهم والغلبة على
 مملكتهم ليس هذا موضع التفصي لاخباره لما قصد من ايجاز
 القول واختصاره ولم يبق بالاندلس ولاية الا بني هود فان
 المستنق بالله ابا جعفر احمد ابن المؤتمن بالله ابني الحجاج يوسف ابن
 المقدر بالله ابني جعفر بن المستعين بالله سليمان بن محمد ابن هود
 الجرامي اقام ببلادهم بشرو الاندلس وحصنها وملك رعيته فضاف
 اسره ولم تدخل عليهم بسببهم داخلة وكان مع ذلك يهادي امير
 المسلمين ويكتبه وقال له في مكاتبه نحن بينكم وبين العدو سد
 لا يصل اليكم ضرر ومطاعين تطوف وقد قنعنا بمسالمتكم فاقنعوا
 مثابها الى ما نعينكم به من نفيس النحر ووجه اليه ابنه عماد الدولة
 ابا مروان عبد الملك فاجابه يوسف ابن تاشفين الى ما اراد ومما
 جاوبه به ما نصحه من امير المسلمين وناصر الدين يوسف بن تاشفين
 الى المستعين بالله احمد بن هود ادام الله تاييده من حاضرة مراکش
 حيث تتلى مائة شرفك ومئاة سلفك ونحن نحمد لله بجميع الحامد
 ونستمد به احسن الموارد ونسأله اتم الفوائد والنجح المقاصد ونصلي
 على سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم صفوة اوليائه وخاتم انبيائه
 واما الذي عقدنا ايديك الله لجنابك الكريم ومجدك الصميم وعلمك

المأمون فود صريح وعقد في ذات الله تلى صحيح ووردنا نشأة السيادة
والنبيل والنباهة والعقل ابو مروان عبد الملك ابنك ولادة وتبنا
وابننا ودادا وتقربا زاد الله به عينك قرة ونفسك مسرة ومعه
خاصتك الوزيران ابو الاصمخ واو عامر اكرمهما لله بدقواه وكلا
وفيهما حق نصابه واينما يره من بابنا اليك صكتابك البليل
الخطير المتبول المبرور فوقنا منه على وجه شخوصهما واصفيهما في
تفصيل جملة الى تحية صهما فالفينا لهما امرجة في ذلك ما لقنوه وسفرنا
لهما عن وجه قصدا فيه حتى استبانوه وجملة الوفاق وجماعة الانظام
في سلك ما يرضي الله تلى والاتفاق ان شاء الله تلى والسلام فاقام
ابن هود رخي البال يهدد النصارى بالمسلمين ويهدد المسلمين بكونه
حائلا بينهم وبين بلاد لافرنج والارمنانيين وقد كان الافرنج قبل
ذلك باعوام قريبة العهد خرجوا من الارض الكبيرة الى الاندلس
في جوع كثيرة ليس لها حد ولا يحصى لها عدد الا الله انتشروا
على ثور سرقسطة وانحوا وقتلوا وسبوا وتغلبوا على مدينة برشيت
عنزة وقتلوا فيها نحو اربعين الفا ما بين فارس وراجل واسروا
النساء والاولاد فاسترجعنا من ايديهم ابن هود ودخلها عليهم عنزة
بذكر انه تالف عنده في استفتاحها ستة الاف من الرماة القسي

المقارة فدخلها عنوة ولم ينج منهم الا اليسير (قال البراكي) دخل
منها سرقسطة نحو خمسة الاف سفينة والرب دبر شعاع لابن هود
بهذا الفتح الذي اتفق على بده صيت بعيد وكان بيد المستعين يومئذ
بلاد الزمر الاعلى كلها سرقسطة وطليطاة وقلمة ايوب ودروقة ووشفة
وريشتر ولاردة وافراة وبلقي ومدينة سالم ووادي الحجاره الى
ذلك كله وكان يحف امير المسلمين يوسف بن تاشفين وبهاديه مما
يحمل بيده من نفيس الفخائر واليوافيت والجواهر اتصل اليه ذلك
من الشام وذلك ان الشام كانت بها جاعة كثيرة وكانت بلاد ابن هود
بشرق الاندلس كثيرة الخصب فكان يبعث للشام اخفانا مشحونة
بالزروع فتود اليه بكل ذخيرة ونخبة خطيرة فتحصل عنده من
ذلك ما لم يكن عند غيره من ملوك الاندلس وهذا هو تاختيص
الخبر في الجواز الثالث الى الاندلس بحول الله وقوته

ج ج ج الجواز الرابع

كان جوازه الرابع اليها سنة ست وتسعين واربعماية سببه برسم
التجول عليها والظفر في مصالحها وكان معه ابنه بل ابتداء الاميران
ابو الظاهر تميم وابو الحسن علي وكان ابو الحسن علي اصغر سنا فقال فيه
احد الشعراء الاندلسيون كلاما فيه فيه على مجده وشرفه فقال في ذلك

وان كان في الانسان يحسب ثانيا * علي وفي الدنيا بحسب اولها
 كذلك الايدي سواء بناتها * وتخص في هن الخناصر بالخلا
 ولما جال في بلادها وتطوف على اقطارها شهرا بعقاب راسه طليطة
 ومنافره قلعة وياج وصدره جيان ومخالبه غرناطة وجناتحه الايمن
 بلاد الغرب وجناتحه الايسر بلاد الشرق وبيان كيفية وضعها وتبليها
 في الصفرة يبدوا بيان هذا التشبيه الذي هو راجع الى سياسة امرها
 واعتبار اموالها ولما كان في سنة خمس وتسعين واربعائة وفي عهده
 الامير ابي الحسن وكتب عنه ولاية الهند لابنه المذكور الوزير
 التقي ابو محمد بن عبد الفتور وكان رحمه الله علم بلاغة به يهدي *
 وامام شرف فده العلم والندى * وعاصم مجد هو الغاية والهدى *
 ونصر الهند الحمد لله الذي رحم عباده بالاستخلاف وجعل الامامة
 سبب الاجتلاف وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الكريم الذي الف
 القلوب المتناثرة واذل انواضه عزة الملوك الجبابرة (اما بعد)
 فان امير المسلمين وناصر الدين ابا يعقوب يوسف بن تاشفين لما
 استمره الله على كثير من عباده المؤمنين خاف ان يسلبه الله غدا
 عما استمره كما كيف تركه محمدا لم يستتب فيه سواء وقد امر
 الله بالوصية فيما دون هذه العظيمة وجعلها من مأكد الاشياء

الكرية كيف في هذه الامور العائدة بمصلحة الخاصة والجمهور وان
 امير المسلمين بما لزمه من هذه الوظيفة وخصه الله بها من النظر في
 هذه الامور الدينية الشريفة قد اعز الله رماحه واحد سلاحه فوجد
 ابنه الامير الاجل با الحسن اكثرها ابتياحا الى المعالي واهتزازا
 واكرما - حجة وانفسها اعتزازا فاستتابه فيما استرعى ودعاه لما كان اليه
 دعي بعد استشارة اهل الراي على القرب والنأي فرضوه لما رضيه
 واصطفوه لما اصطفاه وراوه اهلا ان يسترعى في ما استمره فاحضره
 مشرطا عليه الشروط الجامعة بينها وبين الشروط قبل ورضي
 واجاب حين دعي بعد استشارة الله الذي بيده الخيرة والاستمانة
 بحول الله الذي من آمن به شكره وبعد ذلك وعظ وصية بانث
 من النصيحة راي قعية يقول في خاتمة شروطها وتوثيق ربوطها
 كتب شهادته على النائب والمحنتب من رضى امامتها على البعيد
 والتريب وعم علما يقينا با وصاه في هذا التريب وذلك في عام خمسة
 وتسعين واربعائة وكان من الشروط في تقديمه لامه التي اشترطها
 عليه ابو تركب سبعة عشر الف فارس بالاندلس موزعة على اقطار
 معلومة يكون منها باشيلية سبعة آلاف فارس وقرطبة الف فارس
 وغرناطة الف فارس وفي المشرق اربعة الاف فارس وباتي الممد

على نفور المسلمين للذهب والمرا بطة في الحصون المصانة للعدو وفي
جواز هذا عمل سيره على مدينة اليسانة وهي مدينة مائة سورها من
اعظم الاسوار انفرد بسكنها اليهود كان سبب اجتيازه عليها ان
رجلا من فقهاء قرطبة وجد مجلدا من تأليف ابن حشرة الجبلي
القرطبي اخرج فيه حديثا رفقه الى النبي صلى الله عليه وسلم ان اليهود
الزمت نفسها انها اذا جاءت الخس مائة عام من مبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يحجهم شيء منهم على ما زعموا فان الاسلام
لازم لهم لانهم وجدوا في التوراة قول الله تعالى لموسى عليه السلام
ان النبي الرسول الذي معناه محمد لا يبد من ظهور الحق على يده ونوره
مقفل بانصال الساعة فرغت اليهود انه منهم وانه لم ينجي الى راس
الخس مائة عام والا فهو هذا فرفع هذا الفقيه القرطبي الامر الى
امير المسلمين فاجتاز على مدينتهم ليرى ما يصنع فيهم فيذكر انه
استخلص منهم جملة مال بسبب ذلك وان القاضي ابا عبد الله محمد
ابن علي بن احمد بن التنبلي اجرى مسألتهم معه على وجه تركهم
فعمل ومما ينظر الى قريب من هذا المعنى ما حكى عن احد عمال البحر بن
انه لما وليها جمع اليهود في سائر عمله فقال لهم ما تقولون في عيسى ابن
مريم فقالوا قتلناه وصليبه اقل فادبتم دية قتلوا والا لله قتل لا

والله لا يخرجون حتى تؤدوا دية قاتلهم عشرة لاف دينار وهذا
الذي بلغنا من خبرهم واقتضاء امرهم صلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم تسليما

﴿سيرة امير المسلمين يوسف ابن تاشفين﴾

كان رجلا فاضلا خيرا زكيا فطينا حافظا لبيبا عطاردا ياكل
من عمل يده عزيز النفس غيب الى خير وصلاح كثير الخوف
من الله عز وجل اكبر عتبه الاعتقال الطويل وكان يفضل الفقهاء
ويعظم العلماء ويصرف الامور اليهم وباخذ فيها براهم وبقضي على
نفسه بفتياهم اقامت بالاد الاندلس في مدته سعيدة حميدة في رفاهية
عيش وعلى احسن حال لم تول موفورة مخفوفة الى حين وفاته رحمه
الله وقد كان الجهاد انقطع بها منذ تسع وسبعين سنة من مدة مال
عاصر الى حين دخوله اليها قدم اشياخ المرابطين فيها وكانوا اقواما
ربهم الصحراء نيتهم صالحة لم تفسدها الحضارة ولا مغالطة لا اقل
(قال ابن اليسع) وكان ترتيبهم في الاندلس انهم لم يزيدوا فارسا
على خمسة دنانير للشهر شيئا مع نفقته وعاف فرسه فن ظهرت نجدة
واعانته وشجاعة اكرمه بولاية موضع ينتفع بفوائده وتركوا الثغور
لمواجهة لبلاد العدو في حكم الاندلسيين الكونهم اخبر باحوالها

وادرى بقاء المدو وشن الغارات ولم يكتفوا من ولايتها احدا سواهم
مع الاحسان اليهم وكانوا متى ما وصاتهم خيل من المدو بمثوا بها
الى اهل الثغور فلما قربت وفاته اوصى ابنه ولي العهد بعده ابا الحسن
علي بثلاثة وصايا احدها . الا يهيج اهل جبل درر ومن ورثه من
المصامدة واهل القبلة . الثانية ان يهادن بني هود وان يتركهم
حائلا بينه وبين الروم . الثالثة ان يقبل من احسن من قرطبة
ويجاوز عن مسيئتهم وقد مات في شهر ربيع الاخر سنة خمس مائة
ودفن بقصره بمحاضرة مراكش وحضر موته ابنه وه الاخير
ابو الطاهر تميم وابو الحسن علي مع من حضر من عترة الصنهاجية
واسرته الامتوية قبض وهو على اوله في العزم والجد في نصر الدين
وظهار الحكمة وعضد الاسلام رحمة الله عليه (قال محمد بن الخلف
في البيان الواضح ومما سلى النفوس كل النسيبة وطفا نار الرزية
ما كان من نظره الجليل ورايه الاصيل من تولى الامر في حياته
لابنه الامير ابي الحسن ذي القل الرصين والراي الحسن قدس الله
روحهما وبرد ضربهما وهنا انتهى جوازه الرابع الى جهة من
الاختصار لسفره والاماع بنفذة من خبره واعود الى التعريف
بذكر ولده وولي عهده وما جرى من الحوادث من بعده ومساق

طرف من مراكش واخبارها ومدة حصارها ان شاء الله

— امير المسلمين علي بن يوسف —

كنيته ابو الحسن ابن تاشفين الوالي بعده ابو بكر ويدعى بيكور
كان ذا حدة ونجدة سجنه ابو مكي بولا بالجيزة الخضراء الى ان
مات ولد له وهو ابن ستة عشر سنة ابو حنص عمر الكبير تميم الذي
ثار على ابن اخيه ابراهيم وهو اصغرهم سنا امه رومية تسمى فاض
الحسن . ووزر وه اثنان ابن عمر ثم بعد ذلك في اخر مدته
استوزر اسحاق بن تقيان بن عمر بن تقيان ولما بلغ منه ثمانية عشر
سنة وكان يتوقد ذكاء ونبلا وفعا فاعجب به اعجابا كثيرا وجه له
النظر في المظالم والشكايات فانفع به الناس في اوردم وكافة
شؤونهم وكان في طبعه ومولده مثل كاهن يات بعجائب الاخبار ولما
ولي علي بن يوسف بعده اضطلع بالامور الحسن الاضطلاع وقدم
احمد قيام وكان يتصد مقاصد العز في طرق المعالي ويجب الاشراف
ويقصد العلماء ويؤثر الفضلاء كثير الصدقة عظيم البر جزيل الصلة
. البسه الله المهابة . وقذف له في القلوب المحبة . فاجتمعت عليه الامة .
وانفقت الحكمة . واباه اخوه الامير ابو الطاهر تميم وكان اكبر سنا
منه وهو اول من استعمل الروم بالمغرب ولركهم وقدمهم على جباه

المغارم وكان ذكيا فقيها مكرما لاهل العلم مثلدا لامور القهقاء وغزا
بفسه البلاد ارم فخلا بسببه كثيرا من احوال طليطة وحاصر
مدينة طليطيرة وجاز الى الاندلس في مدته ومدة ابيه فانه جاز اليها
في خلافة اربع صرات

الجواز الاول

كان جوازه اول سنة ثمانمائة لما ولي الامر بعد ابيه انفتح احوالها وسد
خلها فاحتل بالجزيرة الخضراء وبادر اليها فضاء الاندلس ونقها وها
ورؤى وها وزعموها وادابوها وشعرواها فاجزل لهم العطاء وقضى
لكل ارب اربه

الجواز الثاني

سنة ثلاث وخمسة مائة برسم الجهاد ونصر الملة واعزاز الكلمة فتصد
طليطلة ونزل على بابها وجاز المينة المشهورة بخارجها وانتشرت
جيشه على تلك الاقطار ودوخ البلاد بلاد المشركين بالفرار الى
المعائن واعتصموا بالحصون المنيعة ونزل على طليطيرة واقتنحها عنوة
ولم يهد مثل هذه العدة قوة وظهورا وعدة ووفورا

الجواز الثالث

سنة احدى عشر وخمسة مائة افتتح فيها مدينة قلمريت ودوخ بلاد

الشرك بجيوش لا تخصى وكان اثره بها عظيما

الجواز الرابع

سنة خمسة عشر وخمسة مائة للحداد الواقعة بقرطبة وذلك ان اهل
قرطبة كان قدم عليها لاميير ابي يحيى بن رودة فحدث بينه وبين
اهلها ما اوجب قيامهم عليه وحدثت بين اهلها وبين من كان فيها
من المرابطين فتنة كثيرة ونهبوا ديارهم وقصروهم فبلغ ذلك على بن
يونس فجند ^{لجند} لجند وحشد صنهاجة وزانة والمصامة والخلابة
البربر وجاز الى الاندلس في عسكر لم يجتمع مثله للمرابطين قبله
فاحتل بخارج قرطبة فقلعوا ابوابها ودربوا مواضع من حادتهم
واستمدوا لثالة واستفتوا علماءهم فافتواهم انه متى عرض الحق وبين له
السبب فيما جرى بين المرابطين واهل قرطبة وأنه لم يكن بداءة
منهم وانما كان ذبا عن الحرم والدماء والاموال واليادي اعظم فالت
تمادي على نصر هواه واتباع اغرض المفسدين وجب القتال على
لحرم والدفع عن الخوذة حتى يرجع الله به ولما طال مقامه عليها تردد
اليه وجوه قرطبة واعيانها وذكروه بوصية ابيه امير المؤمنين ان
يقبل من احسن من اهل قرطبة ويشجوز عن مسيئتهم فوقع الاتفاق على
ان يؤدوا له مالا عوضا مما نهب المرابطين فرضي ورضوا وبينا هو

في ذلك اذ بانته المهدي بالسوس الاقصى فماد الى المدوة حسبما
 باقى ذكره بعد هذا ان شاء الله وفي سنة اثني عشر وخمسة مائة وصله كتاب
 من الخليفة العباسي بمقداد ونصه من عبد الله ابي العباس المستظهر
 بالله امير المؤمنين الى زعيم الدولة العباسية وزعيم شيوخوا المغربية
 علي بن ناشفين احسن الله توفيقه (اما بعد) الحمد لله مقدم على كل
 مقل وتال كل فمال وهو ذو لمن والافضل الكبير المتعال وصلى الله
 على سيدنا ومولانا محمد واؤيد بالتزويل الذي كشف عن الامة القمعة
 واستنقذ من الضلالة الامة حتى به الحارم ما كان مباحا وافقده من
 المنسوب زنادا اورى بعد ما كان شعاعا واليس الدين بعد ما كان
 بالبراء من البسيطة جناحا وعلى ازواجه وذريته ما عقب مسا
 صباحا وخص العباس بن المطلب عم النبوة ووارث الخلافة
 وشقيق الابوة الميمون الطاهر الفاهر الاوائل والاواخر بالصلاة
 المستهلة الهاد المتصلة الامداد ومواهب الله على امير المؤمنين
 حبايس ومناجحه لديه كواكب نفائس وجذاب الاسلام
 سربح وباع الحق وسيع ورياض العدل ارضه وعيون الحق عريضة
 ونظرة لارطا على ما يقتضيه قصدها ومرادها ويقف عنهم شيئا
 الايام اذا هفت جبهها والنصر لرايته الف والظفر بجوشه غار

بريطانية
 ط

واعداؤه للسبوف حصائد والخوف طرئد وشكره لله تعالى على ما
 اولاه شكر مؤذن بالمريد وشاهد بصنع لا يبيد وعرض بمحضرة
 امير المؤمنين كتابه الموضح لاختلاي السريرة المطبوعة بعلبائع
 الدين المعربة عن تسمتك بطاعته بحبل الله المتين الهاطلة سحائبها من
 سماء سيرتك المضيئة مصابيحها من الخلاص طريقته واما ما نهيت
 من توفد الاجناد ومثابرتك على الجهاد لرفع ادناس الكفرة مما يليك
 من البلاد فانك وطائفتك من حزب الله وحزب الله هم التساليون
 فانخذلته تنوى عمادك والحق تارك وكتاب الله وسنة رسوله شمالك
 وتجرد عن الدفاع عن الاسلام والمسلمين وحط من صمادك في نحور
 اعداء الله الكافرين واعلي لدعاء الامير على ذواب المنابر تكن الظاهر
 باعداء الظاهر والسلام عليك وعلى من قبلك من اهل الطاعة سلام
 يهديهم الى المقام المحمود ويكنفهم بظل الرحمة المحمود ورحمة الله
 وبركاته والمكتوب عنه هذا الكتاب هو الخليفة الثامن والعشرون من
 خلفاء بني العباس وهو ابو العباس احمد المستظهر بالله بن عبد الله المقتدي
 بامر الله بن لثخيرة محمد بن القائم بامر الله بن القادر بالله ولي الخلافة بعد
 ابيه وبويغ له « بسم الله » وفي خلافته استحوذ الروم على بيت المقدس
 وبعض بلاد الشام وفي سنة تسع عشرة وخمسة مائة جاز القاضي ابو الوليد بن

كتاب
 ط

وشد الى مراكن فقاتاه امير المسلمين علي بن يوسف بالميرة والكرامة
 وبين له القاضي امر الاندلس وما اصبحت به من النصارى المعاهدين
 بها وما جرود اليها وجنود عليها من استدعاء ابن ردمير وتقويته على
 المسلمين وامدادهم وما في ذلك من نقص العهد والخروج عن الذمة
 فاتي نظره بالقبول واقتاه بتفريتهم وجلائهم عن اوطانهم وهو
 اخف ما يؤخذ به في عقابهم ونفذ عهده الى جميع بلاد الاندلس
 بازعاج المعاهدين الى ناحية مكناسة وسلا وغيرها من بلاد المدونة
 انكرتهم الاهواء واظلم الطرق وفي هذه السنة تسع عشرة
 وخمسة مائة خرج الطاغية بن ردمير الى بلاد المسلمين بلاد الاندلس
 فتمركت له ريج الظهور وذلك ان النصارى المعاهدين بكورة غرناطة
 وغيرها خاطبوه من تلك الاقطار وتواتت عليه كتبهم وتواترت
 رسالهم ملحة في الاستدعاء مطعمة بدخول غرناطة وانما لما ابطا عنهم
 وجهوا اليه تفسيرا يشتمل على اثني عشر الفا من الجهاد مقاتلتهم
 واخبروه مع هذا ان من سموه هو من شهدت اعينهم القرب مواضعهم
 وان بالبعد منهم من يخفى امره ويغير عذر ورودهم عليهم - خطه
 فاستأثروا طمعه وتفاو جشمه واستنزوه بأوصاف غرناطة وما لها
 من الفضل عن سائر البلاد وكثرة فوائدها من التمتع والشهيرة

والكتان وكثرة المرافق والحرير والكرم ولزيتون وانواع الفواكه
 وضروب المرافق وكثرة العيون والانهار ومنعة قصبها وانطباع
 رعيها وتأثر اهل حاضرتها للباركة التي يملك منها غيرها وانما يستام
 الاندلس عند الملوك في تواريحها يتموا حتى اصابوا عزيمة فالتصيب
 واحتشد وتوسا في اربعة الاف فارس اختاروها من بلاد رغوثة
 بنو ابراهيم وتماقدوا وتحالفوا بالانجيل انه لا يضر احد منهم عن صاحبه
 فخرج على سرسطة في مذابح شبان من هذه السنة واجتاز على
 بالنسبة بها الشيخ ابو محمد بدر بن ورقاء بجاجة من المرابطين واقام
 بها يقالها مدة وفي اثناء ذلك وصله عدد وافر من النصارى المعاهدين
 يكترون سواده ويدلون على الطريق وينهون على المرشد التي تقصر
 المسلمين ونفعه واجتاز على جزيرة شقر فقاتلها اياما خسر فيها ولم
 يرجع ثم وصل منها الى دانية وقاتلها ليلة عيد الفطر من هذه السنة
 وشق بلاد المشرق مرحلة مرحلة ومنزلة منزلة وشن الغارة على كل
 قصر مر به وجفاز على فوج شاطبة حتى اتى مرسية ثم اجتاز بالمنصورة
 ثم صعد الى برشانة ثم تلوم بواد ناجلة ثمانية ايام ثم تحرك الى مدينة
 بسطة فلحقه الطمع فيها لكونها في سيط من الارض واكثر حاراتها
 غير مسورة فلم يمه الله عليها ثم توجه الى وادي واش في يوم الجمعة

اول ذي القعدة وقابل المدينة من جهة المابر الى يوم الاثنين واقبل
الى السند في يوم الثلاثاء وفيه كن الكهان ثم اقبل من السند يوم
الاربعاء ونزل بقرية غيابة وقتلتها من غربها اقام عليها نحو شهر (قال)
مصنف كتاب الانوار الجلية فبذل نجحت النصارى للمعاذون بغرناطة
في استدعائه فانضخ نديهم في اجقلائه وهم اديرها بمقامهم فاعياها
ذلك وجعلوا يتسائلون الى عثائه على كل طريق وكان يومئذ على
الاندلس ابو الطاهر تميم بن يوسف وحاضرة سكانه قاعدة غرناطة
فاحدثت به جيوش المسلمين وامده اخوه امير المسلمين من العدو
بجيش وافر وصارت الجيوش كالداثرة على غرناطة وهي في وسطها
كالنقطة وتحرك ابن زديمر من وادي ش فنزل بقرية دجة وصلى
الناس بغرناطة صلاة الخوف يوم عيده النصر من هذه السنة في
الاسلحة والاهبة ولم يصل ابن زديمر الى غرناطة حتى كان معه
خمسون الفا ثم نزل بواد فردش في يوم عيد الاضحى ونزل منها الى
الازوقة ومنها نزل على غرناطة ونزل بقرية الذيل واقام بمحلته بضع
عشرة ليلة لم تسرح له سارحة بتوالي لامطار وكثرة الجليد الان
المعاهدة كانت تنجب اليه الاقوات فانقلع وقد ارتفع طمعه عن
المدينة فرحل على قرية مرساة الى بينش ومنها الى السكة حيث لحق

احواز القلعة الى لك وبساتنة واسعة ثم نصب على قرية
والبساتنة وجيوش المسلمين في اذياله تكلفه في اثناء
ذلك مناوشة وظهروا عليه وبه الامير ابو الطاهر الى ان اجتمعا
بقرية البساتنة باليسون فطمعوا فيه واتحدوا لقتاله اول النهار
وكبسوه واخذوا له جملة من الاخبية ولما كان وقت الظهر تورع
ونفي بنائه للقتال وعقد عليهم اربعة الوية وصاروا غرابية وحملوا
على المسلمين بعد فاشهم واقتراهم وسوء الراي في نزلهم وحكم
الله باحكامه فكانت الوقية الشنيعة على المسلمين واستولى على علمهم
وانتقل منها الى جهة الساحل فشق الاقاليم وجاز على واد متريبل
المقل الحافات الحصن الحجاز ويقال لما اجتاز به قال بلغته لاحد زعمائه
اي قبر هذا لو الفيتا من يرد علينا التراب ثم عرج بينه حتى انتهى
الى بحريش وانشا بها جفنا صغيرا صيد به له الحوت كانه نذر وفي به
او ثور الممن يخلفه بعده ثم عاد الى غرناطة فاضطربت بها محنة
بقرية دار ثم انتقل الى قرية همداني وكان بينه وبين عساكر
المسلمين مواقف عظيمة ثم انتقل بعد يومين الى المرج فنزل
بين لطة وهو في نهاية من كمال العيبة واخذ الحذر بحيث لا تصاب
فيه فرسه ثم تحرك على البر احوالات ومنها الى الافوز ومنها الى وادي

عاش وقد اصاب كثير من خاصته وطوى المراحل الى الشرق
فاجتاز على مرسية الى جوفي شاطبه والمساكن في كل ذلك تطاؤ
اذباله والتناوش يتخطاه والوبا يسرع به حتى وصل الى بلاده وهو
يفخر بما ناله في سفره من هزية المسلمين وفكته في بلادهم وكثرة
ما اسر وغنم مع انه لم يفتح مكانا سورا صغيرا ولا كبيرا الا انه اجلى
ديار بادية الاندلس وغنا آثارها وكان مقامه في بلاد الاندلس
صادرا وواردا سنة كاملة وثلاثة اشهر ولما بان للمسلمين من مكيدة
جيرانهم النصراني الماعدين ما اجلت عنه هذه القصة اخذهم
الارحاف وتوغرت لهم الصدور وتوجه الى مكانهم الحرم فاحتسب
القاضي ابو الوليد بن رشد الاجر ونجشم الجواز ولحق بعلي بن يوسف
ابن ناشفين بحاضرة مراکش فينبه له الامر بالاندلس وما منيت
به النصراني الماعدين وما جنود عليها من استدعاء لروم وما في
ذلك من نقض المهد والخروج عن النمة وافتي بغريبهم واجلائهم
عن اوطانهم فاخذ بقوله ونفذ بذلك عهده وازعج الى المدوة منهم
عدد جم ويرجع الحديث الى جهة مراکش وان امير المسلمين علي
ابن يوسف بن ناشفين شرع في جمادى الاولى سنة عشرين
وخمسة تسور حاضرة مراکش وبناجامها ومنارها وجمع الصنائع

والقلاع على ذلك فجاء كل ما صنع من ارباب الدنيا ابتناها في مدة
من ثمانية اشهر على عظمها ودورانها يذكر انه اتفق في السور وحده
سبعين الف دينار من الذهب وكان للذي اشار عليه بتسوير مراكن
القاضي ابا الوليد بن رشد حين ظهور المهدي عليه ببلاد المغرب
وسبب تسويرها انه لما ظهر المهدي استفتى فقهاء المدوة والاندلس
في امره ومنهم القاضي ابو الوليد بن رشد في بناء سور على موضعه
ومثله فافتوه بالتحقق على نفسه وعلى الساكنين معه وكان توجه
القاضي ابو الوليد بن رشد اليه لمراكش في غرضين احدهما اخراج
النصارى الماعدين عن الاندلس بسبب ما صدر عنهم من الاغاثه
لابن ردمين واستدائه حسبا تقدم قبل هذا والاخرى في عزل
اخيه الامير ابى الطاهر نجم على الاندلس وتقديم غيره ولما كان امير
المسلمين علي بن يوسف بن ناشفين بالمدوة في حاضرة مراکش
شار عليه اهل دولته ان يطلب الملك بني هود بشرق الاندلس قالو
له الشرع يدعوك ان تسعى في اخذ تلك البلاد منه لكونهم مسلمين
الروم فاخذ بربهم ووجه اليهم الامير ابن تيفويت بمسكن من
الرومانيين ولما سمع بقدومه تحصن ببلاده وكتب اليه كتابا يثمه اليه
لمراكش من فصوله وقد كانت المستعين بالله خاطب اباك امير

المسلمين يوسف بن تاشفين فسأله الدعوة وبرغب في الهدو والاستعانة
على العدو فأقام واقفا معه مريحين ومن تبع الفساق فرحين
فمنعنا بنور الهداية الساطع الاشرار واعتصمنا الدعوة في هذه
الافاق ثم دهمنا من جهتيكم دهم ابدا صفحته وذمهم بل عاصف
امدى الدنيا فحتم ولا يمكننا تسليم ايدينا اليكم بتحكم فينا الاذلان
ويمكن في محالنا الاستعانة بالحقوز والاختلال ولم تقدم منا
اليكم ساءة جبهة بالفول ولا امرت ولا اجلت بمنابكم لا غزو
ولا ضرر بل تقبض عليكم استمالنا وتسقطكم في كل حال
مقاتلنا وقد كان لكم فيما فعله ابوكم امير المسلمين اسوة حسنة واما
كانت بيننا وبينه مسجسة فان يكن الله اراد اسرا ففقه في خلقه
فلا راد لمشيئته ولا حائد عن بليته وسيعلم ببرور هذا الراي عندكم
سوءه ونبته وعظيم هيئته في التمسك وربته والله حبيب من نبي
وابتدا بالنضرب بيننا وابتنى وحسبنا الله وكفى والسلام ولما
وصل كتاب عماد الدولة ابي مروان عبد الملك بن هود وقف عليه
امير المسلمين علي بن يوسف خاطبه الامير ابو بكر بن تيفلاوي
يامره بالكف عن بلاده فوافاه الكتاب وقد ادخل الرعية مدينة
سرسطة في خبر يطول شرحه وقد كان المهدي ظهر عليه في سنة

اربع عشرة وخمسة وكان ابتداء ظهوره بمراكش وذلك انه وصل
من المشرق الى مراكش على حسب ما يجنبه القصص في موضعه
من هذا الكتاب ان شاء الله (قال ابن بجير) فدخل ابو عبد الله بن
نومرت الملقب بالمهدي المسجد الجامع بمراكش يوم جمعة وركع
في الصف الاول بقربة من المنبر فقال له بعض سدة الجامع هذا
موضع امير المسلمين فقال ان المساجد لله وقرأ الآية فلما جاء امير
المسلمين علي بن يوسف ليقدم في موضعه قام اليه من جسر هنالك
وبقي المهدي لم يقم فلما قضيت الصلاة باجر المهدي بالسلام عليه وقال
له في جملة كلامه غير المنكر ببلادك لانك انت المسئول عن رعيتك
فلم يجبه امير المسلمين علي بن يوسف ولما دخل الى قصره وجه اليه
ان كانت لك حاجة فقمضي قال ليس لي حاجة وما قصدي الا
تغيير المنكرات ففهم ذلك امر القهاء بان يكلموا معه ويختبروا حاله
وما عذره من العلم وكان في جماعهم ابو عبد الله مالك بن وهيب
الاندلسي فتكلم معهم في امور كثيرة واظهرهم في مسائل عليية ولما
عادوا الى امير المؤمنين سألهم عما خبروه من حاله فقالوا له يا امير
المسلمين ذلك رجل يفتن الناس والصواب انساكه ويحال بينه وبين
الناس وقال له مالك بن وهيب ابقى الله لك هذا الرجل اجمدا له في

الامام ابي حامد الغزالي وقد كان كتابه الذي سماه احياء العلوم وصل
الى المغرب والاندلس ونفعناه قرطبة نكلوا فيه وانكروا فيه اشياء
قال ابن القفطان ولا سيما ابن حمدين فانه بالغ في ذلك حتى كفر جميع
من نراه وعمل به واغرى به السلطان واستشهد بالقتل فاجموا على
حرقه فاخذ علي بن يوسف بقتيلهم واصر بحرقة واحرق بقرطبة
وكتب الى سائر بلاد يامر باحراقه وتوالى الاحراق على ما ظهر
منه ببلاد المغرب في ذلك الوقت فيذكر ان حرقه كان سببا لثوال
ملكهم وانتشار ملكهم (حكى) ابن صاحب الصلاة عن عبد الله بن
عبد الرحمن العراقي شيخ مشن من سكان فاس قال كنت ببغداد
بمدرسة الشيخ الامام ابي حامد الغزالي فجاءه رجل كثر الاحية
على راسه كرزي «عمامة» صوف فدخل المدرسة واقبل على الشيخ ابي
حامد فسلم عليه فقال بمن الرجل فقال من اهل المغرب الاقصى ثم دخلت
قرطبة قال نعم قال كيف قتلوها قال بخير قال من اهلهم كتاب
الاحياء اهل نعم قال فاذا قالوا فيه قصمت الرجل حياء فمزج عليه
ليقولن ما طرا فاخبره باحراقه وبالقصة كما جرت قال فتعبر وجهه
ومد يده الى الدماء والطلبة يؤذون فقال لهم سرق ملككم كما سرقوه
واذهب دولتهم كما احرقوه فقال ابو عبد الله بن تومرت السوسني

الماتب بالمهدي اسمها الامام ادع الله ان يجعل ذلك على يدي
فناقل عنه فلما كان بعد ايام اتى الحامنة شيخ اخر على شكل الاول
فساله الشيخ ابو حامد فاخبره بصحة الخبر المتقدم فدعى بمثل دعائه
الاول فقال له المهدي على يدي ان شاء الله فقال اللهم اجعله على يدك
فقبل الله دعاءه وخرج ابو عبد الله بن تومرت من بغداد وصار الى
المغرب وقد علم ان دعوة الشيخ لا ترد فكان من امره ما ياتي
ذكره ان شاء الله - ولما وصل المهدي فبرها المنكر فرفع امره الى
العزيز بن الناصر فعم ان ياخذ فهرب الى بجاية فبلغ خبره لابن
حماد صاحبها فاخفى وخرج منها الى رباط ملالة وكان اذ ذلك عبد
المومن بن علي قد توجه به عمه وهو فتى جميل الوجه رابع الجمال
وتم بلاد المشرق وكان قصده ان يعلمه العلم فقصده به الى المهدي
وجلس معه فساله عن اسمه فقال له عبد المومن بن علي وساله عن
بلاد فقال له من طار تلمسان فقال تكون تاجرا قال نعم وانا اريد
الرحلة في طلب العلم لبلاد المشرق فقال له المهدي العلم الذي تطالبه
بالمشرق قد وجدته بالمغرب الى ان قرأ عليه المهدي كتابا يقول فيه
لا يقوم الاصر الذي فيه حياة الدين الا بعبد المومن سراج الموحدين
فتنى معه يقرأ عليه برباط ملالة الى ان خرجا عنها الى وانشرس

فصحبته منها ابو محمد البشير وانتقلوا الى مدينة فاس ثم خرجوا منها
الى حاضرة مراكش وانصرف منها الى هرغة بلدة من الدوس
حسبما تقدم ذكره ولما كان بالدوس الاقصى وقد تبينه كثير من البرابر
وذلك في شهر رمضان للعام سنة خمسة عشر وخمسمائة قام فيها
خطيبا وقال: الحمد لله القائل لما يريد الماضي بما يشاؤه لا راد لامره
ولا معقب لحكمه وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله المبشر بالامام
المهدي الذي يلا الارض قسطا وعدلا كما نلت جورا وظلما يبعث الله
الى نبيخ الباطل الخلق وان يلي مكان الجور العدل والمغرب الاقصى
مبينه وزمانه اخر الزمان والاسم الاسم والنسب النسب وانتمل التمل
قال الامام ابو يحيى ابن اليسع سمعت الخليفة عبد المؤمن يقول لما فرغ
الامام لمهدي من كلامه هذا بادر اليه عشرة رجال من اتباعه والملازمين
له كنت انا واحدا منهم فقالوا له يا سيدي هذه الصفة لا توجد الا بك
فانت هو المهدي فيايتناه في أثناء ذلك على ما يابح الصحابة رسول
الله عليه صلى الله عليه وسلم وان يكونوا يذرا واحدة على القتال
والدفاع فيايتوه اصحابه العشرة تحت شجرة خروب وتتابع البرابر بعد
ذلك عليه بالمباينة على ان يتناولوا عنه ويذلوهم فمروا به فمروا
ذاتك من الارزاء والمخن والمغل والذيق فالنزه ذلك وصحبه العشرة

عبد المؤمن بن علي وعمر بن علي ازيق اسماعيل بن مخلوف وابو
ابراهيم واسماعيل ابن موسى وابو يحيى ابو بكر بن شجيت وابو
عبد الله بن سليمان عبد الله بن ملوبات وابو حفص بن عمر الهذلي
وابو محمد عبد الله البشير وصحبه اثني عشر بالمدينة وابعاهم على
هذا المعتضد بأمرهم خمسون رجلا فسموا اهل الخمين ثم تابعهم
سبعين رجلا فسموا اهل سبعين واختص المذكورون بهذا
الاختصاص وانتمد لهم من البر والتكرمة ما انهمهم وكان يبعد
الاوراق مع صحابه الشجرة لا يحضر غيرهم فاذا جاء امره وز
احضر الخمين فاذا جاء دون ذلك احضر معهم السبعين وابعاهم اهل
هرغة وثمان مائة وجرميت وهكورة وصهاجة وابعاهم على
ما امرهم به والروانصره وانزل لهم بحرب لمونة واخذ اشياءه
يتأهبون للحروب وجعل على كل عشرة منهم تقيما وصنفهم اصنافا
بالصنف الاول اصحاب الشجرة المتقدم ذكرهم والصنف الثاني اهل
الخمسين والصنف الثالث اهل السبعين والصنف الرابع الطلبة والصنف
الخامس الحفظ وهم صفار الطلبة والصنف السادس اهل الدر
والصنف السابع اهل هرغة والصنف الثامن اهل تيجال والصنف
التاسع اهل جرميت والصنف العاشر اهل جنسة والصنف الحادي

عشر اهل هنتاة والصنف الثاني عشر الجند والصنف الثالث عشر
الفرقة والرماة ولكل صنف من هذه الاصناف رتبة لا يتعداها
غيرهم لا في سفر ولا في حضر لا ينزل كل صنف الا في موضعه
لا يتعداه فانضبط مراده وقادوا على ذلك مدة حياته واول ما دبر
به امرهم انه الف لهم كتابا سياه بالذوحيد باسمان البربرية وهو سبعة
احزاب عدد ايام الجملة وامرهم بقراءة حزب واحد منه كل يوم
اثر صلاة الصبح بعد الفراغ من حزب القرآن وهو يحتوي على
معرفة الله تعالى والعلم بحقيقة القضاء والقدر والايان بما يجب لله تعالى
ويستحيل عليه وما يجب على المسلم من الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر وما خفي بينهم وفيه الف لهم كتابا سياه بالقواعد واما سياه
بالامانة هما موج ودان بايدي الناس لهذا العهد دونهما بالبربري
والبربري وكان افصح الناس في اللسان العربي والبربري ينزل اليهم
الم اعظم والامثال ويقرب لهم المقاصد فيجذب نفوسهم واستعجل
قلوبهم وسهل عليهم التعليم بنفسه وباعيان اصحابه وان امير المسلمين
علي بن يوسف لما لم يقدر على القبض عليه جهز جيشا لمحاربته قدم
عليه والي السوس ابا بكر اللاتوني فلما قرب منه لم تذكر على الانسا
لكثرة من تبعه من الامم فارادف عليه بعد ذلك عسكرا ثانيا اكبر

منه قدم عليه الامير اخاه ابا اسحاق ابراهيم فلما بلغوا معهم حاي
الحشم منها ما ابتهم فانزمو امانهم دون قتال وفقد من الجيش
عدد واثر واستولى على عاصمتهم قال ابن جرير ولما سمع علي بن يوسف
لخزعة وخلافة هنتاة عليه واتباعهم اغتم لذلك وجهه عسكرا عظيما
قدم عليه سير اللاتوني ابن مرداس فبرزوه وقتلوا كثيرا ممن كان
معه ولما كان بعد هذه الخزعة سال المهدي اصحابه عن لثونة ما يقولون
عفا فقالوا له لثوننا بالخوارج فقال لهم لثونهم انتم بالجسمين وكتب
لهم المهدي رسالة بخطه ومن انشائه ونصها : الى القوم الذين استزاهم
لشيطان وغضب عليهم الرحمن الفتنة الباغية والشرقة الطاغية لثونة
(اما بعد) قد امرناكم بما نأمر به انفسا من تقوى الله العظيم ولزوم
طاعته وان لن الدنيا مخلوقة للقاء الجنة لمن اتقى والمذاب لمن عصى وقد
تجبت لنا عليكم حقوق بوجوب السنة فان اديتوها كنتم في عافية
والا فأنفسكم بالله على تنالكم حتى تنحوا اثاركم وتكدر دياركم ويرجع
الامر غاليا والجديد باليا وكما بان هذا اليكم اعذارا وانذارا وقد اعذر
من انذر والسلام عليكم سلام السنة لا سلام الرضى قال ولم ينزل امير
المسلمين علي بن يوسف يوالي الخروب على اصحاب المهدي من كل
جانب ويبعث لمحاربتهم الجيوش والكفائب ويأمرهم بتلازمة السكنة

حيث كانت لهم الطاعة من اهل الجبال ويقبضون المدة الطويلة في الحرب معهم والقتال وينفق عليهم ثيوت الاموال رجاء في دفع دائيم المضال فقامت اكثر مدته في حروب معهم وكروب وحينما وجه عسكرا عاد مغلولاً ودخل ثلوث اجناده الذعر وخامرهم الفزع والزعج قال عبد الله بن احمد الزهري حضرت براكش وقد احتفل امير المسلمين علي بن يوسف في تجهيز عسكر الى الجبل الذي كان فيه الموحدون وقدم عليه اخاه الامير الاجل ابا الطاهر تميم فخرج بمسكر كبير وعند ما صعد به في مضائق الجبال وشواهق تلك الالوار مدت عليه افواه تلك الجبال وادبروا ليلاً منهزمين دون قال وتراموا بجبابهم وبانفسهم ودخل فاهم مع الامير ابي الطاهر مهزوما وكانت هذه الهزيمة بقربة من كيك «جبل» فاستمرت عليهم وجد الموحدون في اتباع اشرع الى ان وصلوا الى مقربة من جبل وريك بقبلي اغتات فخرج اليهم عسكر لثبوتة مع بطي اللاتوني وخاق كثير من اهل اغتات وغيرهم وان المهدي توجه الى تينال لما راي من منتهها وحسن موضعها فقسم ارضها وديارها على اصحابه في خبر يطول شرحه وادار على المدينة سورا احاط بوهديتها وبنا على راس الجبل سورا وافرد في قمته حصناً يكشف على ما وراء الجبل

ولا يعلم مدينة احصن من تينال لا يدخلها الفارس الا من شرقها او من غربها . فلما غربها وهو الطريق اليها من مراکش بطريق اوسع ما فيه ان يمضي عليه الفارس وحده موسماً واضيقه ان ينزل على فرسه خروفاً من سقوطه وذلك شرقها الا ان الطريق مصنوعة في نفس الجبل تحت راسها حافات وفوقه حافات وفيها مواضع مصنوعة بالخشب اذا ازليت منها خشبة لم يمر عليها احد ومسافات على هذه الصفة نحو مسيرة يوم وهذا الجبل جبل درن يبلغ مداده ماخذ من البحر الاقصى الى قريب من تلمسان مسيرة خمسين يوماً وتصل به من جهة تلمسان جبال اخرى تلتصق عند قابس عند الحامة بها وهي مسيرة شهرين . ولما استقر المهدي والموحدون بتينال كان براكش رجل من اهل الاندلس يعرف بالفلكي الاندلسي وكان فانتكاشها قاطع سبيل ففني عنه امير المسلمين علي بن يوسف وسد ثنور مراکش فاول ما صنع له حصوناً ضبط بها انقاب جبل درن الذي يتوقع بسببها الخوف من نزولهم الى البساط ففهم من المهيوط عليها

فذكر حصار المهدي لمراكش

ولما فشت دعوة المهدي واتصت طاعته وكثر اتباعه وتكررت

هزأه لأمراء بطين المرة بعد المرة خاطب جميع الموحدين برسالة بخط يده يستدعيهم للوصول اليه ويأمرهم بالقدم عليه لتيمان فوصلوا في غاية الاستعداد وقوة الامداد فجمع عنده منهم نحو اربعين الفا فيهم الفرسان والغالب منهم الرجال. وقدم عليهم الشيخ ابو محمد المشير احد المشرة من اصحابه ولم يسافر معهم اذ كان قد اصابه مرض وتزلوا من الجبل يريدون حاضرة مراکش فخرج اليهم المراكطون في ازيد من مائة فارس ما بين فارس وراجل فزعم الموحدون ودخل المدينة على اسوء حالة رماة منهم باليف وبالازدحام على الابواب خلق كثير وحصروا مراکش مدة من اربعين يوما فتوالى الحروب وتشلت نارها كل يوم في قتال وهزأهم واعراس للطيور وللاشم وكان جملة من انحصر بها من الفرسان نحو من اربعين الفا ومن رجال مالا يحصى عدده الا خائنه وفي خلال الحصار كان رجل من رؤساء الثغور بالاندلس يعرف بميد الله بن همشك صنع الرئيس ابي اسحاق براکش مع اهل البلد وهي محصورة في مائة فارس من اصحابه الاندلس فتسال يوم له مير المسلمين علي بن يوسف ما نحن نمين الا بالتمام تحت الحصار فضحك امير المسلمين من توله وحمله على السلامة وقل له ابو محمد بحسب ان قتال المصادة

مثل قتال الروم قتال له يا امير المسلمين قد كان عندي ببلاد الاندلس جماعة منهم وتعلم خفتهم وشجاعتهم للقتال ولكن المقام هكذا ليس بصواب والغزاة كثيرا عندكم يعني الرماة فان كنتم تنظرون غير هؤلاء فالكل غير نافع اذ تنظر بعضهم بعضا وانما يصنع ذلك مع القلة واما الكثرة فلا ولكن اعرفوا من الله ومن الحضرة ان تاصروني بجمع ثلاثمائة فارس واخرج بهم فاخذل في ذلك وخرج ابن همشك بمن يجمع له من اصحابه من الاندلس لقتال الموحدين فتشوف على احوالهم وكيفية قتالهم فرأى لهم عوالة كثيرة الطول فمئذ ذلك اشار على اصحابه ان يقصروا مراحهم وان يردوها من ستة اذرع وبرز اليهم اول النهار فما انتصف حتى ادخل البلد منهم نحو ثلاثمائة فارس ولما دخل بالروس نشط الناس براکش وسروا بذلك فامر في الحين امير المسلمين علي بن يوسف بخروج عسكر وقدم عليه الشيخ ابو محمد بن واودين فانلقوا فقاء ثبت الله فيه اقدام المراكطين وهزم الموحدين وسائر المصاعدة وقتل منهم في ذلك اليوم ازيد من اربعين الفا ولم يسلم منهم الا نحو اربعة مائة ما بين فارس وراجل وقتل المتقدم على العسكر من الموحدين وهو الشيخ ابو محمد البشير احد المشرة من اصحاب المهدي وكان لعبد المؤمن بن علي في ذلك

اليوم ظهور ذب فيه على المهزومين وحى حوزة الله -الولين وتليهم
 الرابطين من حاضرة مراكش الى اغات فامعنوا القتل منهم ولم
 ينج منهم الا اليسير ولما وصل القتل الى المهدي وفيهم اربعة من
 اصحابه وعبد المومن معهم وجدوه بتيخال مريضاً فقال لهم اسلم عبد
 المومن قالوا نعم قال منذ عاش عبد المومن قبي ذكر ذلك ابن صاحب
 الصلاة وذكر انه كان اطائفة المهدي من الموحدين على الرابطين
 في الحروب التي كانت بينهم نحو اربعين هزيمة حتى كانت هذه
 عليهم قتلوا فيها اجمين ولم ينج منهم الا ثرييسير غزا المهدي منها
 بنفسه اربع غزوات فتح الله فيها عليه وعلى الموحدين الذين كانوا
 معه ولم يزل يرجع الى مستقره بتيخال ظاهراً ظاهراً من غزوه وبعد
 ذلك اشتد المرض بالمهدي خرج من داره ليدفع الناس وجمع الناس
 ليسمعوا كلامه ريباشروا وداعه فقال لهم ان صاحبكم راحل عنكم
 فبكي الناس وودعوه ثم دخل الى داره واتصل به المرض الى ان
 توفي يوم الاثنين الرابع عشر لشهر رمضان المبارك من عام اربعة
 وعشرين وخمسائة كانت مدته من اول مبايعته الى حين وفاته ثمان
 سنين وثمانية اشهر وثلاثة عشر يوماً ولما توفي كتب اصحابه وفاته ولم
 يعلم بذلك احد قال كاتب هذا واورد هنا شيئاً من كلامه مما اثبتته في

X

بعض تواليته الصادرة عنه فن ذلك قوله : اعلم ارشدنا الله وبناك انه
 وجب على كل مكلف ان يعلم ان الله عز وجل واحد في ملكه
 خالق العالم بأسره العلوي والسفلي والعرش والكرسي والسموات
 والارض وما فيها وما بينهما جميع الخلاق متهوون بقدرته لا تتحرك
 قوة الا باذنه ليس معه مدبر في الخلق ولا شريك في الملك حي
 قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه
 شيء في الارض ولا في السماء يعلم ما في البر والبحر وما تسقط من
 ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا
 في كتاب مبين احاط بكل شيء علماً واحصى كل شيء عدداً فقال لما
 يريد قادر على ما يشاء له الملك والتمني وله العزة والبقاء وله الحكم
 والقضاء وله الاسماء الحسنى لا دافع لما نفي ولا مانع لما اعطى يفعل
 في ملكه ما يريد ويحكم في خلقه بما يشاء لا يرجو ثواباً ولا يخاف
 عقاباً ليس عليه حق ولا عليه حكم فكل نعمة منه فضل وكل نقمة
 منه عدل لا يشغل عما يفعل وهم يشغلون وجود قبل الخلق ليس له
 قبل ولا بعد ولا فرق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا امام ولا
 خلف ولا كل ولا بعض لا يقال متى كان ولا اين كان ولا كيف
 كان ولا مكان كون المكان ودبر الزمان لا يتقيد بالزمان ولا

يتخصص بالمكان لا بالحقه وهم ولا يكتفه عقل لا يحصل في الذهن ولا يشغل في النفس ولا يتصور في الوجود ولا يتكيف في العقل لا تلحقه الاوهام والافكار ليس ككله شيء وهو السميع البصير ومن دعائه الذي كان يدعو به : اللهم اعنا على طاعتك واتم علينا ذمتك وزدنا من فضلك واحسانك وثبتنا على دينك حتى نلقاك وانت راض عنا برحمتك يا اكرم الاكرمين اللهم وفقنا ولا تخلفنا واحدا ولا تخيبنا ووفقنا لما تحب وترضى حيث ما كنا واعنا على القيام بحقوقك وحفظ امانتك ورعاية عهدك بفضلك يا ارحم الراحمين ومن شعره مما قاله في ابي عبد الله

نجمت فيك اشياء خصصت بها * فكاننا بك مسرور ومنقبط
فالسن ضاحكة والكف مائجة * والصدر متسع والوجه منبسط
وقد كان قول في اخر دعائه اللهم انك تعلم ذنوبنا فغفرها وتعلم
حواسننا فاقضها وتعلم ما نأكله واشربه كفى بك يا ارحم الراحمين
وقد تم الكلام في اخبار المهدي واعود الى تمام دولة امر المؤمنين على
بن يوسف وبما كان من الاحداث في ايامه وأنه لما اضطربت عليه
الامور من لدن ظهور المهدي وعبد المؤمن بعده لم يحتمل له امر
الموحدون في اثناء ذلك تنو احوالهم ومنظم شأنهم وتاجبت نار

الفتنة بالغرب واصطلى بحرها طلاب العافية ورضيها كل من ذهب
الى الفناء وبسبب هذه الفتنة اتصلت الحروب وغلت الاسعار
وتوات الفتن وعم الجذب وقلت الجاني وكثرت على اهل الاسلام
الحزن بالمدونين ووجه عن كثير من حاة الاندلس الى المدونة ونقل
اليها كثير من اسلحتها وعددها فكان ذلك من اعظم فساد حل
الاندلس واختلال امرها عليهم ولحق النصارى بالضرب على جهات
بلاد الاندلس حين علموا عجز الامارة بالغرب عن الدفاع لما فيه
من الفتن حتى تغلبوا على كثير من بلادها وكان الاسلام بها عززا
والكفر مقهورا والخزينة سرقة منذ ملكها يوسف بن تاشفين الى
خروج المهدي فسادت الاحوال وكثرت الشدائد والاهوال ولما
انتهت الحال بالمدونين الى ما ذكر اجتمع المرابطون ووقع اتفاقهم
على ان يكون ولي العهد بعد امير المسلمين علي بن يوسف ولده
لزعامة وشجاعته وشهامته ورجاهه عنه ولما ظهر منه في الاندلس
من البناء والكتابة في المدون فولاه عهده وقدمه على عساكره ومباشرة
الحروب التي كانت بينه وبين الموحدون ولما رأى امير المسلمين علي بن
يوسف ما كانوا فيه من الادبار اغتم غما اورثه مرضا اثر في جسمه
فالتزم فراشه واشتد به الله وزادت علته الى ان توفي رحمة الله عليه

كانت خلافته ستة وثلاثين سنة وسبعة أشهر وفاته بمراكش في رجب
سنة سبعة وثلاثين وخمسمائة ولم يشهر ، وانه الا بعد ثلاثة اشهر من
وفاته فوولي بعده ابنه امير المسلمين ابو محمد تاشفين كنيته ابو محمد
وولي عهده بعده ابراهيم ووزرائه جماعة من المباطنين كان بينه وبين
الموحدين في مدة ابيه ومدته حروب ورفائع كان لهم فيها الظهور
عليه واستقبل جيوش عبد المومن بعد موت المهدي المرة بعد المرة
فلم تقم له قائمة وتبدد عسكره ولم يكن له جواز الى الاندلس في
مدته لكن جاز اليها لما ولاه ابوه عليها وكان بطالا شجاعا حسن الركة
والهيئة وكان يسلك طريق الشريعة ولاه ابوه على عهده لاندلس
فقتوى الحصون وسد الثغور واذاكى العدوين على العدو وداثر الجند
لم تزل عنده الخطوة الا بالثناء والنجدة فدخل على الخليل وقلد الاسلحة
واوسع الارزاق واستكثر من الزمات واركبهم واقام همهم وعنى
بالغزو ومباشرة الحرب فعزم الجيوش وانتج الحصون وتبني العدو
فلم ينهض الا ظاهرا ولا صدر الا ظاهرا واهمد احوالها بالحزم
وملك نفوس الرعية بالمدينة وقلوب الجند بالانصبة له فيما غزوات
مشهورة ووقائع مذكورة اشير الى طرف منها وعود الى ذكر حاله
في المدوة ، منها غزوة الشهيرة باحواز بطليوس بقرب الزلاقة

المرحكة التي اوقع فيها جده بالطاغية الاعظم ادفنش بن فندقة
حسبا تقدم ذكره وذلك ان الامير تاشفين انصل به ان عطاء الروم
وزعمائهم تالقهم جيش يحتوي على الالف من انجاد رجالهم ومشهور
ابطالهم وقصدوا ناحية بطابوس فعباسوا خلاها ودوخوا ارضها
فزحف اليهم وتلاقى معهم بمقربة الزلاقة فلما ترائى الجماعات
اضطربت الملحمتان وتركبت المراكب فاخذ مصافها ولزمت الرجال
مراكزها فكان في القاب مع الامير تاشفين للرابطون واصحاب
الطاعة تقدمهم البنود البيض الباسقات مكتوبة بالايات وفي الجانبين
كفأة الدولة وحماة الدعوة من ابطال الاندلس تقدمهم حمر الرايات
بالصور الخشبات وفي الجناحين اهل الثغور وذوي الجلالة والصبر
وفي المقدمة مشاهير زناتة وقيف الحشم اهل العظام الماضية
والبصائر الثابتة بالرايات المصنعة والاعلام النية فالتقى الجماعات
واشتد الضرب والطمان فولى الكفرة الالابار وامعنوا في القرار فبعثهم
المسلمون يقتلون ويأسرون وصدر تاشفين الى رطبة عزيزا ظافرا وكان
ذلك سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وكانت له ايضا بالاندلس غزوة
عظيمة وهي غزوة جبل القصر وذلك ان الروم اجتمعوا في جيوش
وافرة وحشود متكاثرة فاكثروا البلاد وسبوا ما انزه من العباد

فاستحضر الامير تاشفين زعماء المرابطين ونظر ما عندهم في اقاء
 عدوهم فقالوا الدولة لنا فلما تركها وحمايتها فللامر لمن شاء الله بعد
 ثم استدعى العرب فقالوا ارم العدو بنا ولا تشرك احد معنا وسيرى
 الله فعلنا ثم استدعى زنانة والحشم فقالوا لا جواب الا بالفعل
 وشرطنا ان نمول ايتامنا فجرى كل خير واجابهم بما اطاب نفوسهم
 وقوى عزيمتهم وخرج بالجيش الى الجهاد فذكر اليه من اعلمه ان الروم
 مالت الى الحصن في جبل القصر فاخذ الجبل فتملقت الخيل به ترهقه
 وتصيب منه وقد شرع القتل في الروم فهاهم الامر وتردوا
 عاخذين في غير طريق فاخذهم الطعن والضرب الى عدة اميال
 فاقى على جباهم القتل واقلت النزر وامتلات ايدي المساميت
 من دوابهم واسلحتهم وفكت الاغلال عن الاسرى
 وصرفت المواشي الى بلادها وكاد هذا الفتح يربي على ما تقدم
 من نظرائه استيصال شوكتهم وصار الامير تاشفين الى
 الى قرطبة وقد صنع الله له كافضل ما عوده وقد كانت له هزيمة على
 النصارى من بعد بحياز ومجازة جازت بين الفريقين اسلمه فيها جل
 من كان معه فتجلى للوقوف وصبره للافعة فلم يرا يربط منه جاشا ولا
 اشهم نفسا في مطلع ذلك الهول وعند اختتام القتال هناء القمية

الكتاب ابو زكرياء بن العربي بالسلامة في القصيدة المسطرة بمد
 وحذره من خدع الحرب ونهيه على احكامها وما ينبغي ان يفعل
 فيها رأت ان اضماها في هذا الكتاب لما تحتوي عليه من سياسة
 الحروب لمناسبتها لهذا الموضع وهي هذه القصيدة المذكورة اولها هذا
 يا ايها الملك الذي يتوقع من منك البطل الهام الاودع
 ومن الذي عذر العدو به دجى فانفض كل وهو لا يتزعزع
 بمضي الفؤوس والعلبان يصددها عنه ويدمرها الوفاء فترجم
 والابل مرضج التراكيب بينهم صبيح على هام الكفاة ملمس
 عن اربعين شئت اعنتها دجى القاتل الف جاسر ومقتنع
 لولا رجال كالجبال ترضت ما كان هذا السيل مما يودع
 يتعمدون على الرماح كانوا ابطل عطاش والاسنة مكرع
 ومن الدجالهم على قم ليا وذوابة بين الظبيا تنقطع
 فثبت والاقدام تزلزل والردى حول السراق والاسفة تفرع
 لا يظن على الامير فانها خدع الحروب وكل حرب يخدع
 ولكل يوم حنكة وتمرس وتجارب في مثل نفسك تفجع
 يا شجاع الابطال ليللة امسه اليوم انت مع التجارب اشجع
 ها انت من ملك على صفر له نظر صميميخ والقلنا تصمدع

هـديك من ادب الوفي حكما
لا اني ادرى بها لكنها
تخندق عليك اذا اضطربت حلة
وتوق من كذب الطلائع انه
فاذا احترست بذلك يك لا
حارب بمن تخشى عتابك للذي
قبل التناوش عيب جيشك منه
ايك نصيبة الجيوش مضيقا
حصن حواشيا وكن في قابها
والبس لبوسا لا يكون مشورا
واحتل لتوقع في مضايقة الو
واخذو كرين الروم عند لقاءها
لا تلقين النهر خلفك عندما
اجعل مناجزة العدو عشية
واصدمه اول وهلة لا ترتدع
واذا تكاثفت الرجال بمرك
حتى اذا صعبت عليك ولم يك

بها كانت ملوك الحرب تلك ولع
ذكرى تحصى للؤمنين وتنفخ
سيان تتبع ظاهرا او تتبع
لا راي للكذاب فيما يستمع
مدى في فرصة او في انتهاز مطمع
تخشى ومن في جود كملك يطعم
صحا حيث التمكن والمجال الاوسع
والخيل تفحص بالرجال وتزعج
واجمل امامك منهم من يشجع
فيكون تحوكم لالمدو تطلع
فاخذ عاروبها وانت موسع
واخفص كينك خلفا اذ تدفع
تلقى العدو فاصره متوقع
ووراك لتهدف الذي هو امنع
بعد التقدم فالتكوس تضعضع
ظناك فاطران بالرجال توسع
من الاشيا داثم وتسمع

ورابت ناز الحرب تضرم بالنفيا
ثم انقض الجميع ما احمدته
ايك تمسب ان تولت عصبة
من مشر اعراض وجهك عنهم
وم الكرام فاين يذهب عنهم
تكبوا الجياد وكل حبر عالم
اني فزعهم يا بني صنهاجة
ما انتم الا اسود خفية
ما قال سيدكم فظلم لم يكن
انسان عين لم تصبه منكم جفر
تلك التي جرت عليكم خطة
اوى ليوسف جده من على
او ما لولده علي نعمة
ابطاتم عن ناشقين ولم يزل
خاف الهدا لكن عليكم مشفق
ومن المجائب انه مع سته
وعفا وكان المفو منه سجية

ودعاه فوق الاسنة يسطم
حتى يكون له الحبل الارفع
كانت توفه للوعاد وتدفع
ابكى عقاب في القلوب واوجع
قل الجليل وسخطك المتوقع
يبنوا وتنبوا المرفعات القطع
واليكم في الروع كان المنزع
كل بكل عزيمة مستطعم
لكم الثقات حوله وتجمع
وقلب اسلمته الاضالع
شناه وهي على رجال اشنع
كل وفضل سابق لا يدفع
وبكل جديد ربة لا تخلف
احسانه بجمهمكم يتسرع
فجهتم وجفونه لا تهجم
ادري واشهم في الحرب واضام
ولسطوه لو شاء فيكم موضع

يا تاشفين اقم جيشك صفه
 بالليل والقدر الذي لا يدفع
 هجم العدو حتى فروع مقبلا
 ومضى بينهم وهو منك مروع
 كم وقصة لك في ديارهم اثنت
 منها اعزتها نذل وتخضع
 النعمة المظلى سلامك التي
 فيها من الظفر الرضى والفتح
 كلا اعني لا اخص بعمه
 فردا بها غل الجوانح يتقمع
 كادت تكون ولو اذا التزلات
 عنها البسيطة والجبال الخشم
 وهوت بالندس عقاب لم تدع
 فيها لذكر الله صوت برقم
 لاضيع الرحمن سعيك انه
 سمي به الاسلام ليس يضيع
 تستودع الرحمن نك وديمة
 فهو الحفيظ لكل ما يستودع
 وكانت الامير تاشفين في الاندلس غزوات كثيرة وكانت جيوشه
 موفورة ورايته منصوره ولما استخلف امير الموحدون بالمغرب وجه عنه
 الى الاندلس ابوه وولاه عهده وقدمه لمداومتهم ومباشرة حروبهم
 فكانت بينه وبينهم وقائع اكثرها عليه ولما توفي ابوه وخلص له كثير
 الطامع لبيد المومن ونزل عبد المومن من جبال نادلا وجبال غماره
 ويقتل ويغنم وسلك منها مساقيل الجبال ما بين فارس وتلمسان وتغبر
 سراياه ثمة ويسره واتبعه الامير تاشفين فكان الموحدون يسبرون
 في الجبال للامانة حيث الارواق الواسعة وكان تاشفين ينزل البساط

بمسالكه فلا يجد من السير ابوة من يواصله ولا من يستعين به
 ويدخله وذلك بسبب الادبار وانقطاع الدولة والانصار وانتقل عبد
 المومن الى جبل غماره فبعه تاشفين ثم انتقل من جبل غماره الى جمة
 تلمسان وباعه اكثر زناته للموحدون باحوار تلمسان ونزل براس
 الجبل الذي عليها وحاز وعمره تسلك خيله منه ابنة تريد (قال ابو علي
 الاشيري) ووصلت الى الامير تاشفين محلة من ملك فريقية ابن
 حماد الصنهاجي برسم امداده واعانتة وعند ما وصلوا اليه برز اليهم
 بجيوشه فلا خص تلمسان خيلا ورجالا الا الادبار كان له محاذيا
 وانقضاء دولته مناديا فنزل الصنهاجيون بمحلتهم فاكرم تاشفين نزلهم
 واحسن اليهم والموحدون خلال ذلك ينظرون الى ما يصنعون
 فهاهم اسرهم ولا افزعهم كثرتهم وانهم طالعوا اليهم في بعض
 الايام من جهة العباد فهبط عليهم الموحدون وهزمهم وقتلوا كثيرا
 منهم وعند ذلك كتب تاشفين الى الاطاريق يستدعي اهلها فوصله
 عسكر جليلة وعسكر الامداد من بجاية ووصل من الاندلس
 اليه الامير ابو اسحاق ابراهيم بن تاشفين فولاه ابوه عهده وذلك
 سنة ثمان والثلاثين وخمسمائة وكان عنده من الروم نحو اربعة آلاف
 فارس واجتمعت عليه المسائر المذكورة بتلمسان واصر بعض الجيوش

ولتمييز عليهم من الجنود والحشود وسائر الوفود فيزوا وبرزوا
وعجب الناس من كثرة عددهم وعددهم واحتفالهم في الزينة حتى
زعموا انهم لم يروا مثل تلك الجيوش حسنا وجمالا وعدة وكمالا
واضطربت المساكن من باب القري والمدن الى الجهة المتصلة باصل الجبل
وذلك كان اخر جيش احتفل فيه المرابطون (قار، ابن اليسع)
حدثني غير واحد من الموحدين قال لما نزلنا من جبل تلمسان يريد بلاد
زانة اسمنا المرابطون فزلا علينا منهم قال فصنعنا دارة مربعة في
البيسط جعلنا فيها من جهاتها الاربع صفا من الرجال بأيديهم القنا
الطوال والطوارق المانعة وورائهم اصحاب الدروع الحراب صفا ثانيا
من ورائهم ووراءهم اصحاب المخابي فيها الحجارة ووراءهم الرماة
نفوس الرجل وفي وسط المربعة الخيل المرابطين اذا
دفعت اليهم لا تجد الا ترماح الطوال المشاعة والحراب الحجارة
والسهام يأسرة خيل ماتوا من الدفع وتدبر واخرج خيل الموحدين
من طرق تركوها وفرج اعدوها فتصيب من اصابت فاذا كرت
عليهم دخلوا في غاب النما وكان هذا اليوم يعرف بيوم ممداس فقد
فيه من جيوش المرابطين ما لا يحصى وفي ذلك اليوم ظهر امر عبد
المومن وكثر جمعه وكان من اعظم ما تأيد به على المرابطين قيام أهل

الاندلس عليهم لكونهم اخلوا من حمايتها واسلحتها والفتنات الاكبر
ذبح الامر بالامر غيره وكانوا يكتبون اليوم شديا وغدا ابتيره فيسخر
جندهم ورجالهم منهم وقد كان تاشفين بناها حصنا بمقربة من وهران
على شاطئ البحر حصنه واتخذها ملجأ واوزع قائد اسطوله بالمرية
ابن عبد الله بن ميمون ان يجزله عشرة اجنان غزوية تكون
بمرسى هذا الحصن مدة لحادث يحدث عليه وان الجائنة ضرورة الى
الجواز الى الاندلس جازموان الموحدين والمرابطين انتقلوا من جهة
تلمسان ونزل عبد المومن بالجبل المطل على وهران فقبضه تاشفين
بمحلته ونزل بخارج وهران وكانوا يجاربون كل يوم دام ذلك بينهم
شهورا كثيرة ولم يزل حال الموحدين في علو وظهور كل يوم وحال
الامة يزداد في ادبار لا يتم لهم امر ولا يتنجح لهم تدبير ولما استقر
تاشفين بوهران وتفاصت حاله تقلص الظلال وصارت اموره كلها
الى الاختلال وضافت به الحال وعان عزم الموحدين عليه ايس من
الحياة والتجأ الى الحصار بعد ان كان له في محاربة الحروب جملة
سنتين لم يستقر فيها بلد ولا اجتماع بوالد ولا ولد وانه خرج من
وهران على الخفاء واستتر وترك خيامه وعساكره بجبهات وهران
وصار منها الى الحصن الذي بناه على شاطئ البحر معه خاصته ليقعد

حاله ويتشوف على الاجفان التي كان يقظر وصولها من الاندلس
فلم به الموحدين فاحدقوا بالخص من كل مكان واشملوا به النيران
فلما جن الليل خرج ناشفين يطلب النجاة بنفسه فركب فرسه التي
تدعى بالريحانة وكانت مشهورة بالسبق فتردى من حافة بعيدة
الموى ظن ان الارض وطية متصلة فلما اصبح وجد بأسفل الحسافة
مينا على تلك الصورة ولم يعلم بذلك عسكر المرابطين وقطع عنهم
الماء ومات اكثرهم عطشا وحن السيف على من بقي ضحى يوم عيد
القطر سنة تسع وثلاثين وخمسة مائة ثلاثا ايام من موت اميرهم
ناشفين كانت وفاته من حين وفاة والده ستين شهرا ووفاته في
شهر رمضان المعظم من سنة تسع وثلاثين وخمسة مائة

سبحه ولي بعده رحمه الله بنه امير المسلمين ابراهيم بن ناشفين
كنيته ابو اسحاق ولم يعقب ورزاه جماعة من اشياخ المرابطين
كان قد ولاد عهده وهو بوهران ووجهه الى مراکش وصحابه
جماعة من المنونة وذلك قبل وفاته بشهر بويح له بمحاضرة مراکش
لما مات ابوه بوهران وخالف عليه همه اسحاق بن علي ونقض
بنيته ودعى لنفسه ووقع الخلاف والتدبر بينهم الى انقطاع
حوالهم ودخول الموحدين عليهم ولم ينهض بالملك بسبب

استيلاء الموحدين على معظم البلاد بالمغرب ولما دخل عبد المؤمن
وهران انصرف به ذلك الى تلمسان فلكها ودخلها عنوة وقتل
اهلها وبسي حرمها ودخل كل واحد من الموحدين من الموضع الذي
باليه فاخذوا فيها من الاموال ما لا يحصى ذكر ابن اليسع انه بلغ
عدد القتلى بها الى مائة الف او يزيد ولما ملكها اقام بها سبعة
اشهر ورحل منها الى جهة المغرب فنزل على مدينة فاس وبها احد
اولاد علي بن يوسف والمدير لها مشرفها ابو محمد الجبائي فاجتمعت
عليه بها الوفود من كل جهة وكان بلغ في حصارها واقام محاصرا
لها نحو ستة اشهر واهلها يقولونه خارج البلاد ومن اشد ما دهاهم به
ان الوادي الذي يشق مدينة فاس سده عليهم وامر الناس يسووا
الحطاب والخشب ورفع الرب على ذلك سدا بعد ما خر حتى احتبس
الماء وحسر الواد فصار القحص كله مجرا وقام الماء يرتفع ويرتدع
الى ان صار بحر تجري فيه السفن استعان على ذلك بكثرة الآلات
والعالم واتسع القحص ثم هدم السور بجرة وقوع عليهم السور وقد
كان عيد المؤمن يريد ان يدخلها فوقف له اهل فاس على مهدم السور
وقتلوه من خارجها ولما طال عليهم الحصار وجه الجبائي مشرفها في
خفية لمبد المؤمنين فامنه ودخله من باب القنوج وذلك ان والها من

المرابطين عليه في مال وضيق فيه عليه فلم يكن في وسعة من أين يعطيه له فحين بدا عمل الحيلة في دخول عبد المؤمن وخرج صاحبها عنهما فاستولى الموحدون على فارس ودخل عبد المؤمن منها إلى سلا وقد كان عبد المؤمن بث ستة آلاف فارس من رفاق ومكلائه ووزناني وكرنانية إلى محاصرة مكنتاسة فبنوا عليها سورا وحفروا ابهامه حفيرا فكان اهلها في سجن لا يقدر على الخروج منها شرقا ولا غربا اذ ادروا السور عليهم وتركوا فيه ابوابا يدخلون منها لقتال اهل البلد ففركة عليها وانصرف إلى سلا ولما وصل إلى سلا تطلب عليها من ساعته وفتحها قبل نزوله وطاعت له تصببها التي كان بناها الامير تاشفين في الرباط واخذ في الحركة إلى مراکش واستمد لها غاية الاستمداد وكان بها ولد تاشفين المتأمر بعده حسبا يذكر بعد ان شاء الله

ذكر حصار مراکش

ولما كان في محرم سنة احدى واربعين وخمسمائة توجه عبد المؤمن إلى حاضرة مراکش مقر خلافة المرابطين ووصل بجيوشه إليها نزل بجبل بنزيسها يعرف بالجليل الجليلين وهو جبل صغير إلى عليه مدينة استند إليها وبنى فيها مسجدا وصومعة طويلة يشرف منها على مراکش ولما أكل المدينة بالبناء ونزلت كل قبيلة في الموضع الذي حدها لها

زحفوا بجمعهم لمراكش وقد كان كثر لهم الكيمان واقام هو بالمنظرة يصير احوالهم فانهم لم الموحدون يحرقونهم إلى الكيمان ولما وصلوا إلى مقربة للمدينة التي بناها عبد المؤمن بالجليل المذكور وعلم عبد المؤمن بان اكثر اهل مراکش من الفرسان والرجال خرجوا وامر بضرب الطبول وخرجت الكيمان فأت في ذلك اليوم من اهل مراکش ما لا يحصى وأتبع السيف سائرهم إلى الابواب فقتل بعضهم بعضا بالازدحام وطال الحصار عليهم واشتد الجهد بهم وللكثرة خيلهم ورجالهم فقد طعامهم وفنت مخازنهم حتى اكوا ادوابهم ومات منهم بالجوع ما ينبت على مائة وعشرين الفا ولما طال عليهم الحصار واشتدت احوالهم وهلكوا جوعا حتى اكوا الجيف واكل اهل السجن بعضهم بعضا وعدت الحيوانات كلها والخناطة بأسرها واختبرت المخازن فلم يوجد بها شيء عجزت عساكر اللاتونيين حيثئذ عن الدفاع والامتناع بضعف العدد والعدة وكثرة الضيقة والشدة فتفتحت مراکش حينئذ على ما يأتي وصفه وذلك انه لما كان يوم السبت الثامن عشر اشوال سنة احدى واربعين وخمسمائة على ما نقله ابن اليعسم انه قال حدثني من اتق به انه لما اراد الله فتحها دخل جيش الروم الذين كانوا بداخلها يد عبد المؤمن واستقامتوه فامتهم واقفوا معه

على ان يدخلوه من الباب المعروف بباب الخفات . قال البيهقي وامر
عبد المؤمن بهد السلاخ لادور قسمها على القبائل احدقوا بالمدينة
فدخلت هتافه من جهة باب دكالة ودخلت صهاجة وعبيد
الخزن من باب الدباغين ودخلت مسكورة وغيرها من جهة باب
فستنوا الاسوار ودخلوا البلد بالسيف وامتنع الامير ابو اسحاق
ابراهيم بن ناشفين مع المرابطين وجملة الاعيان بدخل القصبه
المروقه بقصر الحجر وهو حصن حصين وتمادى القتل من بكره
الى وقت الزوال وطلبوا الامان فلم يشف ودخل عليهم فخرجوا
الامير اباسحاق واخرجوا معه نخلة من الاعراة وابنام ومن كان معه
من لقوة الى الموضع المعروف بجبل الجليل وان الامير اباسحاق
لما وصل الى عبد المؤمن واشفق عليه لصغر سنه وهم ان ينفو عنه
واسجنه فقال له بعض الموحدين اتحب ان تربى فرخ سبع ولما قدم
الامير ابو اسحاق جعل يرغب لعبد المؤمن في ابقائه فقتل وجهه
الامير سير بن الحاج احد اشباخ المرابطين وقال له اترغب الى ابيك
ومشفق عليك اصبر صبر الرجال . فقتل وقتل كل من اخرج منه
قال ابن اليسع وقتل في ذلك اليوم مما صح عندي ثمان على سبعين
الف رجل واستمر القتل على اهل البلد ثلاثة ايام وكانت مدته من

حين . قالت ابيه الى دخول مراكنس ستين وزيادة ايام ووفاته في
شوال سنة احدى واربعين وخمسة وبعوته انقرض ملك اهل الشام
والملك لله الواحد القهار يذكر ان الاساذ اباع عبد الله بن ورد راي
في النوم قبل انقراض دولة المرابطين يسير قائلا يقول
الايسها للفرور وبجرك لا تم * فله في ذا الخلق امر قد انير
فلا بد ان برزوا بامر يـ و هم * فقد احدثوا جرم على حاكم الامم
وقال بعض اهل العلم الحدان انقراض دولة بني ناشفين المعروفين
بالمرابطين كذلك اثبت ثم ذراين ما يكون عندها يهون وقال
القاضي ابو بكر بن العربي في نايفه عارضة الاحود في شرح
الترياق المرباطون قاموا بدعوة الحق ونصرة الدين وهم حماة
المسلمين الذابون والمجاهدون دونهم ولو لم يكن للمرابطين فغيلة
ولا تقدم ولا دسيلة الا رقيقة الزلافة التي انسى ذكرها حروب
الاولاين وحروب داحس والقبراء مع بني وائل لكان ذلك من اعظم
فخرهم واربحهم فكانت مدتهم من اول ظهورهم تسعين سنة
وبالاندلس ستا وخمسين سنة فمبعضان من لا يبدل ملكه ولا يفتي
دوامه لا له الا هو الذي العظيم وقد نظم العميق ابو طالب عبد الجبار
الشعودي في رجزه دولة المرابطين فقال

وإذا أراد الله نصر الدين
 فجاءهم كالصبح في أثره
 أتى أبو يعقوب كالقناب
 ووصل السير إلى الزلافة
 لله دريا لها من وقعة
 وإن للشرك هناك عرشه
 واتصل الأمر على النظام
 وانصرفت على الندوة الكثرة
 فالآن خيل الله في العدو
 ثم ولي علي بن يوسف
 وبعد ذلك الياث أشفين
 وانت الفتى والأزواء
 والله بالمرصاد من ورائهم
 ولما توفي إبراهيم بن تاشفين ودخلت مراكن بالسيف حسبما تقدم
 هذا وولي فيها بعد عبد المؤمن بن علي على حسب ما يأتي بعد أن
 شاء الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

- الخليفة عبد المؤمن بن علي -

نسبه هو عبد المؤمن بن علي بن علوي بن بلي بن مروان بن نصر
 بن علي بن عامر بن الأمازيغ بن موسى بن عبد الله بن يحيى بن
 ورجاء بن سطفور بن يعقوب بن مطاط بن هودج بن نسيب
 ابن عيلان بن مضر هكذا نسبه كثير ممن له عناية بهذا الشأن
 وحكى بعضهم أنه نقله على هذه الصورة من خط حفيده السيد أبي
 محمد عبد الواحد كنيته أبو محمد لقبه الموحدون بالخليفة أمير المؤمنين
 بنو الذكور نحو السبعين ولما توفي المهدي حسبما تقدم قبل تفاوض
 بقية أصحابه وهم أربعة بن يكون امامهم بعده فوقع اتفاقهم على عبد
 المؤمن لما كانوا يشاهدونه من تعظيم المهدي له بحضور أصحابه وجميع
 الموحدين وقبيل عليه ويبتشر بكلامه فالتفتوا عليه وقدموه فاقام
 فيهم مسوداً عندهم سائلاً لهم مذبرا لأمورهم ولما كل اجتماعهم في
 تقديمه ستة أربع وعشرين وخمسة وأربعين سنة وسائر
 الموحدين تشاور معهم على أي جهة تكون حركته الأولى فاتفق
 رأيهم على قصد نادلا وأحوازها فتوجهوا نحوها وطاعت له ومنها
 إلى درعة فلكب ولم تزل من حين ولايته أمور الموحدين تنمو
 وأحوازهم تعظم وهم في كل يوم يظهرون على المرابطين إلى أن كان

ما تقدم من استلامهم على بلاد المغرب وحضر حاضرة مراكش
ودخلها عليهم بعد ذلك حبا تقرر في موضعه قال ابن صاحب
الصلاة ولما تم عبد المومن فتح مراكش ودخلها رجع منها الى محامته
وجعل الامناء على ابوابها مدة من شهرين فاجتمع فيهما واهوالها
فقسمه على الموحدين وقسم عليهم ديارها وبيع عيان مراكش واولادهم
بييع العبيد الابنت يوسف فاحترمت على البييع لمكان
زوجها الامير يحيى بن اسحاق المريني المعروف بوزمار
لكونه ترك قبيله ودخل في دعوة عبد المومن واحترمت
داره من الفتي واستولى عبد المومن على ذخائر علي بن يوسف
وذخائر ثبوتة مما يقصر على وصفه اللسان ولا ياتي على شرحه
البيان وبقيت مراكش ثلاثة ايام لا يدخلها داخل ولا يخرج منها
خارج وابي الموحدون دخولها لان المهدي كان يقول لهم لا تدخلوها
حتى تظهروها قال الموحدون التمهات عن ذلك فسالوا لهم تبنا
انتم مسجدا اخر فكان ذلك فبنى الخليفة عبد المومن بدار الحجر
مسجدا اخر جمع فيه الجمعة وشرع في بناء المسجد الجامع وهدم الجامع
الذي كان اسفل المدينة الذي بناه علي بن يوسف ولما اكل عبد
المومن بناءه صنع فيه صباط يدخل من القصر اليها ومنها الى الجامع

لا يطاع عليه احد ونقل اليه منبرا عظيما كان قد صنعه بالاندلس في
غاية من الاتقان قطعته عود وصندل احمر واصفر وصباحه من
الذهب والفضة وصنع مقصورة من الخشب لها ست اضلاع تسع
اكثر من الف رجل وكان المنولي لصنعه رجل من اهل مائة يقال له
الحاج يعيشر وهو الذي ابنت جبل النج على ما هو عليه الان في مدة
الخليفة عبد المومن بن علي وكيفية هذه المقصورة انها وضعت على
حركات بعد رفع البسط عن موضع المقصورة فطلع الاضلاع في
زمان واحد لا يفوت بعضها بعضا بدقة وكان باب المنبر مسدودا
فاذا قام الخطيب ليطلع عليه افتتح الباب وخرج المنبر في دفعة
واحدة ولا يسمع له حس ولا يرى نذيرها يقول فيها الكتاب ابو
بكر بن مجير الجيري التبري من قصيدة طويلة

طورا تكون بن حوته محيطة فكانها سور من الاسوار
وتكون طورا عنهم مخبوة فكانها سر من الاسرار
وكانما علت مقادير اورى فتصرف لهم على مقدار
فاذا احسب بالامير يزورها في قومه قامت الى ازوار
يبدو فتبدو ثم تخفى بدهه فكأنها الهالات للاقار
وان الخليفة عبد المومن غرس خارج مراكش بستانا طوله ثلاثة

اميال وعرضه قريب منه فيه كل فاكهة تشتهبها الانفس وجلب اليه
الماء من اغيات واستنبط عيوناً كثيرة . قال ابن اليسع وما خرجت
انا من سراكش في سنة ثلاث واربعين وخمسةائة الا وهذا البستان
الذي غرسه بياض مبيع زيتونه وفواكه ثلاثين الف دينار ومائة على
وخص الفواكه بها ولما تولى عليه الفتح واستوثق له الامر قام عليه
قائم ببلاد السوس وهو محمد بن عبد الله بن هود الماسي وتسمى
بالهادي وادعى الهداية اقتداء بالمهدي محمد بن عبد الله بن تومرت
وكان قصارا ببحر سلا فاقبل الناس عليه من كل مكان واجتمعوا عليه
اجتماعا طاربه الذكر في الافاق وقامت بدعوته ام لا تحصى واتسعت
دعوته في جميع اقطار الدولة حتى لم يبق منها الا سراكش وفارس
وخالفت عليه جميع سائر البلاد ورفضوا دعوة الموحدين وكاد يضمحل
ويستقرض ما قاتلوا عليه منذ خمس وعشرين سنة فوجه اليه عبد المومن
عسكرا فهزمه الماسي المذكور وعاد اليه خاسرا مهزوما ووجه اليه
جيشاء اخر وقدم عليه الشيخ ابا حفص عمر بن يحيى الهنتاني ومعه جماعة
من الموحدين وجملة من لمة وطائفة من النصاري وغيرهم من الاجناد
واستعدوا للقائه بالسوس غاية الاستعداد فانهم وقتل كثير من اهل
عسكره وتخلص الملك بعد ذلك بالمغرب لعبد المومن وفي اثناء ذلك قاتل

عبد المومن قبيل دكالة فمخاضوا الى الساحل في نحو عشرين الف
فارس ومائتي الف راجل وسار اليهم عبد المومن في امم لا تحصى
من الحيل والرجل والرماة وكان اهل دكالة لاراضي عندهم ولما اصطفوا
وتأهبوا للقتال جاءهم من ناحية اخرى غير الناحية التي عقدها
فأحبل نطائهم وقتل جميعهم وخرجوا عن وعز الموضع الذي كانوا به
فأجاءهم السيف الى البحر فقتل اكثرهم في الماء واخذت ابلهم وغنهم
واموالهم وسي اولادهم وانتهى البيع فيهم الى بيع المرأة بدرهم والفلان
ب نصف درهم ولما تخلص له ملك المغرب وصانته البيعة من بعض
المواضع بجزيرة الاندلس واول بيعة وصلت له منها واول وفد وفد
عليه اهل اشبيلية ولذلك اعتنوا بها في مدتهم وصيروها
حاضرهم بالاندلس وكان من الوفد المدين عليه القاضي ابو بكر
ابن العربي المماقري والخطيب ابو عمر ابن الحجاج والكاظم ابو بكر
ابن الجدة وابو الحسن الزهري وابو الحسن بن صاحب الصلاة وابو
بكر السجدة والباحي والهورزي وابن القاضي شريح وعبد العزيز
الصدفي وابن السيد وابن الزاهر وغيرهم من وجوه اشبيلية في ذلك
المهد فاذن لهم في السلام عليه وتقديم القاضي ابو بكر بن العربي
وخطب خطبة بليغة استحسنها الخليفة عبد المومن ثم تلاه الفقيه ابو

بكر بن الجند بخطبة ثانية فاحس واجاد ودفنوا له بية اهل اشبيلية
مشهودة بخطوطهم فقبلها منهم واستحسن فعلهم ثم ان الخليفة عبد
المومن سال ابن العربي عن المهدي هل رماه اولقيه في مجلس ابى
حامد الغزالي ببغداد فقال له لم الله وانما سمعت به وان الشيخ كان
يقول لا بد من ظهوره وفي ايام ابن العربي من وجهته هذه توفي
رحمه الله ودفن بجبانة فاس ولما تم لعبد المومن ملك القرب شرع
في اتصال الحركة الى افريقية وسفلائه على عمالة الاسراء بن بني
حامد الصنهاجيين فشهد جميع الموحدين وخرج من مراکش واحتل
يسبقة وظهر الجواز الى الاندلس للجماد واستدعى وجوه الاندلس
واستوضح مسائلهم ثم رحل منها مظرا العدة الى حاضرة مراکش ولما
وصل طنجة اخذ على نصر عبد الكريم ورحل مدينة فاس على عينه
واخذ قاطعا الى الشروق نادى مناديه ايها الناس من تكلم بكم بكلام
مناهى الى اين هذا السفر فجزاؤه الذيتم ثم تحرك الى بجاية مستعجلا
في الرحيل فاصدا اشعار صاحب بجاية العزيز بالله يحيى بن ناصر من ملوك
بني حماد حتى وصله عا له بالجزائر وقد خرج منها ودخلها الموحدون
وقد كان بين الخليفة عبد المومن وبين ابن حمدون وزير صاحب بجاية
كتب ومداخلة لما سمع به فتح له باب بجاية وفر من قصبة صاحبها

ابن حماد الى قسنطينة وحصره بها الموحدون فنزل منها على امان
وصار مع الخليفة عبد المومن الى حاضرة مراکش فاصهره الديار
واقطعه الضياع واقام هو وبنوه تحت اكرام ومبرة الى ان انقضوا
ولما استقر ابن حماد بمراكش تحامل وتجاهل واشغل نفسه بالصيد
واستعمل شباك الحديد لصيد الاسد وكان يهديها للخليفة عبد المومن
فيشبه عليها وانه اصاب في بعض الايام شبلا صغيرا وادخله على الخليفة
في مجلسه فامر بحمله من عقاله فربض وسكن لا يتحرك من موضعه
واتفق ان اهدى له في ذلك اليوم ذرورا يتكلم بأنواع الكلام فارتجل
ابو علي الاثير ابياتا في صفة الحال فقال

انس الشبل ايتها جبالا بالاسد وراى شبه ابيه فقصد
ودعى الطائر بالنصر لكم فقتضى حاكم لما ورد
انطوى الخفاف مخلوقاته بالشهادات فكل قد شهد
الك القائم بالامر له بعد ما طال على الناس الامد

واستولى عبد المومن على افريقية وقدم عليها الشيخ ابا محمد ابن ابى
حفص وعاد الى حاضرة مراکش وقد تريا له فتح لاكماء له وكان
الخليفة عبد المومن بارا بمن انطوى اليه عارفا باقدار الناس مكرما
لاعيانهم واهل البيوتات منهم عالما بتقدير العلماء ينزل الناس على قدر

منار لهم ورتبهم وروى الحفاظ بحفظ كتاب لوطا وهو كتاب اعز ما
 يطلب وغير ذلك من توالي المهدى وكان يدخلهم في كل يوم جمعة
 بعد الصلاة داخل القصر فيجتمع الحفاظ فيه وهم نحو ثلاثة آلاف
 كانوا ابناء ليلة من المصامدة وغيرهم فصد بهم سرعة الحفظ والتربية
 على ما يريد فياخذهم وما بتعليم الركوب ويوما يلعب بالقوس ويوما
 بالوم في بحيرة صنعها خارج بستانه سرعة طول تربيته نحو ثلاثمائة
 اعويه ما ياخذهم بان يحدقوا على قوار وجواز بق صنعها لهم في تلك
 البحيرة فتادبوا بهذه الاداب آترة بالباطاء وتارة بالادب وكانت
 نفقتهم وسائر مؤنتهم من عنده وخيلهم وعددهم كذلك ولما كمل له
 هذا الامر اذفهم عزل بهم اشياخ المصامدة عن ولاية الاعمال والرياسة
 وقال العالماء ولي منكم فاموا لهم وبما هم في المشورة وقد كان ظهر
 له حين ذلك ثلاثة عشر من اولاده كلهم حفاظ خطاطون قد تكلت
 فيهم الصفات التي رباهم عليها وتحصلوا بالخالص الجيدة فاشار عليه
 شيخ الموحدين بتدعيمهم وعانوا له بالامر المؤمنين بسوءك اولي
 بالتدعيم فظاهر الامتناع ولم يزلوا به حتى ولاهم الاعمال جعل كل
 واحد منهم على اقليم وقدم ابناء المشيخة تحت ايديهم فاولى السيد
 ابا حفص تلمسان ووجه منه الشيخ ابا محمد بن واندوق والكاتب ابو

سيرة

الاصبح بن عياش وولى السيد باسعيد عثمان غرناطة ووجه منه الشيخ
 ابا عبد الله بن سليمان والكاتب ابا الحسن بن هرودس وولى السيد
 ابا محمد عبد الله بجاية ووجه منه الشيخ ابا يعقوب يوسف بن سليمان
 والكاتب ابا العباس بن مضاء وتوجه كل واحد من هؤلاء على جهة
 التدريب والتعليم لهم

ذكر توجه الخليفة عبد المؤمن الى المهدية

كانت عادته في اسفاره ان يرحل بعد صلاة الصبح بعد ان يضرب
 كبير مستدير الشكل دوره خمسة عشر ذراعا منشأ من خشب اخضر
 اللون مذهب فاذا ضربت فيه ثلاث ضربات علم انه طبل الرحيل
 فيرحل الناس وكان يسمع على مسيرة نصف يوم من مكان مرتفع
 في يوم لا يرحل فيه وبلغ حبشه في هذه الوجهة الى خمسة وسبعين الف فارس
 ومن الرجال الى خمسمائة الف وكان المسكر مقسما على اربعة عساكر
 لكل عسكر يوم يختص به وماء ينزل عليه مسيره في كل مرحلة الى
 وقت الفددة وتزل الجيوش مريحة الى يوم اخر قطع من سلا الى
 تونس في ستة اشهر وهي مسيرة سبعين يوما للمجد الراكب وكان
 اذا ركب اجتمع اليه اعيان الناس فيدعوا ويتقدم الناس ويمشي امامه
 على بعد منه مقدار مائة فارس ويتقدم الناس امامه بمصحف عثمان

بن عفان رضي الله عنه وهو الذي كان عند الناصر عبد الرحمن بن محمد من خلفاء بني امية بالاندلس وكان في زمن الخليفة عبد المومن بجامع قرطبة فبمث اليه وجيء به فانفق عليه اموالا عظيمة وصنع تابوتا عجيبا وغلقه بثلث صفائح من الذهب ورصمه بالياقوت الاحمر وكان من اعرب ما فيه الحافر الاحمر من الياقوت الذي هو على شكل حافر الفرس وكان فيه نفيس الدر والزمرد وكل ذخيرة حصلت عند المرابطين وعند بني حماد الصنهاجيين وعند بني هود وعند بني عباد ولما كلمه صنع له هودجا يحمل فيه على عجيب وعلى الهودج اربع علامات حمراء ويثمه هو وابنه السيد ابو حفص وراهه الا ان الاقرب الى ابني حفص منهم السيد ابو عبد الله لا يوازيه احمد وابناؤه وراه اخيهم ابني حفص لا يوازيه ولي العهد ثم تبعه البند والطبول ومن ورائه المدبرون لدولته ويتتابع الناس لا تراحم بينهم فاذا كان وقت النزول نزلت كل قبيلة في منزلها وعلى ترتيبها لا يتمدى احد طوره لهم رتب معلومة قيدها الحمد وحماها الخوف وفي محامته جميع الصنائع وكل ما يحتاج اليه كان للمسافر معهم مقيم ولما نزل على تونس بعث اليه اهلها يستأمنونه الايمان فانهم في انفسهم واولادهم لا في اموالهم ودخل الجيش المدينة وحصلت

اموالهم كلها تحت التقييد وبقيت اموالهم وبقيت اموالها فصبه ابراهيم مثلثة الزوايا امامها نصبل من نوعه حال بين ساكنها وبين البلدة ورحل منها يريد المهدية وقد كان فلكها النصراني في سنة ثلاث واربعين وخمسة استولى عليها صاحب جزيرة صقلية وعلى صفاقس ودخل بونة وغيرها من ذلك الساحل وعادت الى المسلمين على يد الخليفة عبد المومن سنة خمس واربعين وخمسة وقام عليها ستة اشهر وتسعة ايام وكان بداخلها من الافرنج ثلاثة آلاف ومال للمهدية قتال من البحر وانما قتلها من شياها من ناحية البر من مكان ضيق قد حصر بسور عرضة بمشي عليه فارسان ووصل اليهم مائة جعفر من جزيرة صقلية بالاقوات والعمد فخرج اليهم القائد ابو عبد الله بن ميمون باسطول الاندلس والمغرب اقام على باب دار الصنعة ولا دخول اليها الا من يابه فاختدوا الكثير منهم ولما طال الحصار خرج اليه ثمانية من اعيان الروم فقالوا له يا امير المؤمنين انت الموجود في كتبنا نك تلك الارض وغرضنا عن البلاد باموالنا واهلنا وترك لك البلد فكتب لهم الامان بذلك وخرجوا عن البحر الى صقلية ودخل الخليفة عبد المومن الى المهدية سنة خمس وخمسين وخمسة واتت اليه اهلها فبقية كلها واستعمل على تلك الجهات عماله

وعاد الى المغرب ولما وصل الى مدينة فاس توجه منها الى سبتة وجاز
الى الاندلس وجوازه الى الاندلس سنة خمس وخمسين وخمسة
ونزل بجبل القنق وبنى به الحصن الكائن الان فيه على ما هو عليه
وهو اختط وصومه بيده وتولى بناء ابنه السيد ابو سعيد عثمان
صاحب غرناطة وكان من بناء وشاور فيه الحاج يعقوب المهندس وبي
انشاء مقامه بالجبل بمساحة عشر الف فارس من عسكره بالجبل
الى ارض المدو واثنته وفود الاندلس من كل جهة ومكان واحتفل
شراء الاندلس في القضايد وخطبواها في الخطب وكان في وفد
غرناطة الوزير ابو حفص بن سعيد الغنوي وهو حدث السن في
جملة ابيه واخوته فدخل معهم على الخليفة وانشده قصيدة منها
تكلم فقد اصغى الى قولك الدهر وما اسواك اليوم نهي ولا امر
ورم كل ما قد شئت فهو كائن وحاول فلا يرفوت ولا يجر
وحسبك هذا البحر بالا فانه يقبل ترابا داسه جيشك النجر
وما صوته الا سلام مردد عليك وعز بشر بقربك مفتر
يجيش لكي يلقي امامك من عدا يماند امرا لا يقوم له امر
اطيل على اهل الجزيرة سعدا ويمددها ذلك المنصور الخير
فاطارق الا تلتك طارق ولا ابن نصير لم يكن ذلك النصر

هما مهادما صكى نحل باقها كما حل عند التيم بالهالة البدر
لما جاز الى المدوة انصرف الى مراکش وقد كمل له بملك الرقية
مسيرة اربعة اشهر من المشرق الى المغرب من طرابلس الى افق
السوس ومن الجنوب الى الشمال في اعرض المواضع من قرطبة الى
سجلماسة خمسة وعشرين يوما كانت ثلاثة وثلاثين سنة وخمسة اشهر
وخمسة وعشرين يوما من حين وفاة المهدي ومن شعره لما اقبلت حشود
الحطة الى افق مراکش مع الامير ابى ابراهيم بن اسحاق بن امير
المومنين علي بن يوسف وهزمهم الموحدون وغنواهم من الجبال
نحو ثمانين الفا هناء المشرقي ابو عبد الله الجياني بشعر اوله
اشاءت لنا الايام واتصل النجج وكان وجوه الدهر مسودة كلج
فاجابه الخليفة عبد المومن بقوله
هو القنق لا يجلوا غرائب الشرح اصاب بني التميم من باسه طوح
استابه البشرى على حين غفلة بملك قوم كان وعدهم الصبح
وفاته برباط القنق من سلا سنة ثمان وخمسين واحتمل الى تيمال
ودفن بباب قبر المهدي رحمة الله عليهما وولي بعده ابنه
الخليفة يوسف ابن عبد المومن
كنيته ابو يعقوب وتلقب بامير المومنين ابن امير المومنين بنوه المذكور

ثمانية عشر كبيرهم يعقوب المنصور الوالي بمده ووزير اخوه السيد ابو حفص وابو الملا ادریس بن جامع جاز الى الاندلس في خلافته مرتين وهو الذي امر ببناء المسجد الجامع بالنبطية وبنه الصوامة بها سنة اثنين وسبعين وخمسائة فاعما ابنه يعقوب المنصور وبنوا ايضا دار صنعة الانشاء بسبته على ما هي الآن عليه وفي جوازہ الثاني الى الاندلس سنة ثمانين وخمسائة دوخ ببلاد غرب الاندلس ونزل مدينة شنترين وقاد له الجيوش اخوه شقيقه ابو حفص وابو سعيد وولي بقية قواعد الاندلس وملك من طرابلس الى جزيرة شقل بالاندلس وكان في مدته سنة احدى وسبعين وخمسائة الطاعون براكش ومات فيه من اولاد الخليفة عبد المؤمن السيد ابو عمران ثم اخوه السيد ابو سعيد ثم اخوها السيد ابو زكرياء صاحب بجاية والشيخ ابو حفص عمر بن يحيى الهنتائي جد الملوك الحفصيين والقاضي ابو يوسف حجاج بن يوسف كانت خلافته اثنين وعشرين سنة وعشرة اشهر واثنى عشر يوما مولده بلبال سنة ثلثة وثلاثين وخمسائة وفاته رحمه الله بنهر تاجه في قوله من غزاة شنترين على ظهر دابته واحتمل الى وباط الفتح من سلا فدفن به ثم احتمل منها الى تيمال فدفن لصق ابيه رحمه الله كتمت وفاته الى حين وصوله الى اشبيلية

— الخليفة يعقوب المنصور —

كنيته ابو يوسف تلقب بالمنصور بنوه المذكور ثمانية ووزرؤه اخوه ابو عبد الله وابو علي ابن ابي زيد الهنتائي وابو يحيى بن السيد ابي محمد بن ابي حفص كانت خلافته اربعة عشر سنة واحد عشر شهرا ولوبه ايام

﴿ جوازہ الى الاندلس ﴾

في خلافته مرتين افتتح في الاولى مدينة شلب وفي الجواز الثاني كانت الهزيمة العظمى على النصارى التي لم يبعد مثلمها وهي التي تسمى وقعة الاراك وامر كاتبه ابا الفضل ابن ابا الطاهر ان يوجز في كتاب هذا الفتح وان يشجو فيه منجى كتب الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وكانت هذه الوقعة سنة احدى وتسعين وخمسائة ولما دنت وفاته رحمه الله جمع بينه والوحدين ووصام بوصايا منها: ايا الناس اوصيكم بتقوى الله وارساكم بالايتام واليتيمه فقال له الشيخ ابو محمد عبد الواحد بن حفص يا سيدنا ومولانا وما الايتام واليتيمه فقال الايتام اهل جزيرة الاندلس وهي اليتيمه فايكم واليتيمه عما يصلحها من تشييد الاسوار وحماية الثغور وتربية اجنادها وتوفير رعيها واتماموا اعزكم الله انه ليس في نفوسنا شي اعظم من ههما ولو

مد الله لنا في الخلافة الحياة لم نتوان في جهاد كفارها حتى
نعيدها دار اسلام ونحن الان قد اسودعناها الله تعالى وحسن نظركم
فيها فانظروا للمسلمين واجروا الشرايع على منهاجها وفاته بمراكش
في يوم الاول سنة خمس وتسعين وخمسة ودفن بحاضرة تينال
لسن ابيه وجده في وولي بعده رحمه الله تعالى ابنه كنيته ابو عبد
الله الخليفة ابو عبد الله الناصر في تلعب بالناصر لدين الله بنوه ثلاثة
الكبري ابو يوسف يعقوب والوالي بعده وزيره استوزر رجلا خالا
يعرف بابن سني كانت خلافته خمس عشرة سنة واربعة اشهر وثمانية
عشر يوما وهو الذي ولي على افرقية شيخ الموحدين ابا محمد عبد
الواحد ابن الشيخ ابي حفص عمر بن يحيى الهنتاني جد ملوكها الان
جوزوه الى الاندلس سنة سبع وثمانمائة واقام فيها نحو عامين واستفتح
معقل شنطرة وفي صفر سنة تسع وثمانمائة كانت عليه وعلى المسلمين
الجزيرة المعطى التي فتي فيها اهل المغرب والاندلس الشهيرة بكائنه
العقاب وفي اثنائها عاد قاهلا الى حاضرة مراكش واغتم من اجلها
غما كبيرا كان السبب في وفاته بمراكش في شعبان سنة عشرة وثمانمائة
وولي بعده ابنه ابو يوسف المستنصر كنيته ابو يعقوب تلعب
بالمستنصر بالله لم يقب - وزيره عبد الله بن واندين بويج له وسنه

عشرة اعوام كانت خلافته عشر سنين واربعة اشهر ويومين في
مدته تهدت البلاد الاندلسية والافريقية من غير منازع ولا معاند
لم يكن له حركة تذكر ولا غزوة تشهر ولا خراج من حاضرة
مراكش لمدينة تينال على عادتهم في زيارة المهدي كانت ايامه
هادئة ليس فيها كبير مفاشة ومدته كانت ماخر ضخامة الدولة
الوحيدية وفاته بحاضرة مراكش في ذي الحجة سنة عشرين وثمانمائة
وولي بعده عم ابيه في الخليفة ابو مالك عبد الواحد بن يوسف بن
عبد المؤمن كنيته ابو مالك كانت مدته ثمانية اشهر وتسعة ايام
قال الملاحى يذكر عنه انه كان يحب الدعوة خالف عليه عبد الله
ابن اخيه يعقوب المنصور فانهض على نفسه بالتخلي عن الخلافة في
شعبان سنة احدى وعشرين وثمانمائة وفاته بعد تخليه عنها بثلاثة ايام
وولي بعده ابن اخيه في الخليفة ابو محمد عبد الله العادل بن يعقوب
المنصور كنيته ابو محمد تلعب بالعدل بالله كانت خلافته ثلاثة
سنين وثمانية اشهر وتسعة ايام وفاته سنة اربع وعشرين وثمانمائة
وولي بعده اخوه في الخليفة المأمون ابو العلاء ادريس بن يعقوب
المنصور كنيته ابو العلاء تلعب بالمأمون كانت خلافته خمس سنين
وثلاثة اشهر وكانت له نفس كبيرة وكان عالما كاتبا ادبيا فصيحيا بليغا

ذا النجدة وراي وحزم الا ان دولته كانت مزاجية باي زكريا يحيى
 ابن الناصر فلم يثبت له معه تمهيد . بنوه ابو محمد عبد الواحد الوالي
 بعده وعبد العزيز وعثمان والحسن علي السعيد الوالي بعد اخيه
 الرشيد ووزراؤه ابو زكريا ابن ابي العمري كانت له بالاندلس
 وقابع كثيرة وهو الذي بنا قصر السيد بمالقة حين كان واليا عليها
 سنة ثلاث وعشرين وستمائة ورايه واختراعه كان جميع بنائه
 وهو الذي امر بزال اسم المهدي من السكك وغيرها ومن الخطبة
 وازال سير جميع الموحدين مما كان للعمل به في سائر دولة الموحدين
 وكتب بذلك رسالة بخط يده وبث بها الى الافطار وهي مشهورة وفي
 شهر رمضان سنة سبع وعشرين وستمائة قتل المامون بمراكش
 من مخالفه الناكثين ليمنه بفتوى القاضي المكريدي اعدادا لا تحصى
 وساق من دموه الى حاضرة مراكش اربعة عشر الف فارس مقطوعة
 وقيل اكثر . حدث السيد ابو زيد بن السيد ابي زكريا انه وصله
 كتاب المامون يخبر بان عدد الرؤوس المقطوعة كانت اربعة عشر الفا
 وعلقت باسوار مراكش في زمن الحر وشدة اليميط فتكلم معه كاتبه
 الفقيه ابو زيد الغازاري في زالتها وازالة الروايح الكريية عن البلد
 فقال المامون ان هاهنا مجانين هذه الرؤس احرازا لهم وروايحها

عطرة عند الحسين كريمة عند المفضلين وما نظمها المامون عند قتله
 اهل الحراية والتساد في الوري يفزون في التشبيه للذكر
 فساد فيه الصلاح لغيره بالقطع والتعليق في الاشجار
 ذكركم ذكرى اذا ما ابصروا فوق الجذوع في ذرى الاسوار
 لو عم حكم الله سائر خلقه ما كان اكثرهم من اهل النار
 وفاته رحمه الله بمراكش في ذي الحجة سنة تسع وعشرين وستمائة
 وولي بعده ابن اخيه الخليفة يحيى بن الناصر بن اخيه الناصر
 بالله ابي عبد الله محمد بن يعقوب المنصور كنيته ابو زكريا تلقب
 بالمتصم بالله كانت مدته تسع سنين وكانت ايامه كلها تكدة لم يستقم
 له امر نحو سنتين وفي سنة سبع وعشرين وستمائة تلاقى بالمامون
 في الملاء بمنزلة مراكش فانزله يحيى وفر الى الجبل وفاته رحمه الله
 بفتح عبد الله بين مدينة فاس وتازا في شوال سنة ثلاث وثلاثين
 وستمائة وولي بعده الخليفة ابن المامون ابي الملاء ادريس بن
 يعقوب المنصور كنيته ابو محمد تلقب بالرشيد كانت خلافته
 عشر سنين وخمسة اشهر وتسعة ايام وفاته رحمه الله بمراكش
 سنة اربعين وستمائة وولي بعده

الخليفة ابو الحسن علي بن المأمون

ابي الملاء اديس كنيته ابو الحسن لقب بالسيد كانت مدته خمس سنين وثمانية اشهر وعشرين يوما في مدته كان ظهور للمصلح ابي يحيى يقراس بن زياد يتلمسان وتحرك اليه بالجيوش المغربية وحاصره بمجمل تامفروت باحوار تامسان فصادفه السلطان ابو يحيى على حين غفلة فانهدر اليه من الجبل واغتم منه غرة فقتله وتفرقت محلته وفاته رحمه الله في صفر سنة ست واربعين وستمائة وولي بعده الخليفة عمر المرتضى بن السيد ابي ابراهيم اسحاق بن امير المؤمنين ابي يعقوب يوسف بن عبدالمومن . كنيته ابو حفص لقب بالمرضى كانت مدته ثمانية عشر سنة وتسعة اشهر واثنين وعشرين يوما في مدته استولى الامير ابو يحيى ابن عبد الحق على مدينة نازا واستولى ايضا في مدته على مدينة فاس وفي مدته تار سبنة الفقيه ابو القاسم بن الفقيه العالم ابي العباس العربي اللخفي في سنة سبع واربعين وستمائة ووالده السيد اسحاق بن يوسف هو الذي بنى قصر السيد وهو القصر الكبير الذي على هر شفييل خارج غرناطة وهو الذي بنى الرابطة امامه سنة خمس عشرة وستمائة لم تكن له في مدته حركة الا زيارة قبر المهدي بمحاضرة نيمال على عادة سلفه وكان له حظ وافر من العلم والادب وبراعة الخط . ومن شعره

وما المر الا الاقل وجازل روجي فراق الجسد
دعوت الى الله مستطاعا ليصلح مني ما قد فسد
ويصلح نفسي واخلاها ويذهب عن اليا والفسد
فسوق الرياء بها نافق وسوق القفاف بها لكسد

خلعه الوالي بعده وفر من حاضرة مراکش الى ازموور فقتل بها الى ان وجه عليه الوالي بعده فقتل في اثناء الطريق وقبره معروف وفاته رحمه الله في صفر سنة خمس وستين وستمائة . وولي بعده رحمه الله الخليفة ابو الملاء اديس الوائق بالله المعتمد عليه . ولقب بابي دبوس لانه كان في بلاد الاندلس لا يفارق دبوس فشر به . كانت مدته من حين استقراره بدار الخلافة عراكس سنين واحدى عشر شهرا وعشرة ايام وكانت ايامه تكدة فكثرت الخلعون عليه وهو الذي قتل اولاده صهر المرتضى طول حياته الى ان اتفقت واخرجهم من القفاف السلطان ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق المستولى على دواتهم اجازهم الى الاندلس وحصلوا باشبيلية عند ادفنس صاحب فشتالة ثم انتقلوا الى حاضرة غرناطة باستدعاء السلطان ابي عبد الله محمد بن محمد بن نصر سنة اثني عشر وسبعمائة ولما وصلوا اليه احسن زلهم واكرم موائهم واجرى

عليهم الارزاق واثبت لهم الجرايات وهي باقية تجري على من بقي
من هضيم الى هذا العهد . وكانت وفاته بمرآكش في حرم سنة ثمان
ومستين وستائة وبوفاته رحمه الله انقرضت دولة الموحدين بني عبد
المومن من المغرب ودرست آثارها **(يحيى)** وجلا من الصالحين
بجاية انشد في منامه هذين البيتين فودع ذلك اليوم فوجدوه يوم
مقتل ابي دبوس وها

ملك بني مومن تولى وكان فوق السالك سحكه

فاعتبروا وانظروا وقولوا سبحان من لا يسيد ملكه

قال الوزير ابو الحسن بن سعيد المنسي لما استولى التمدد والغراب
على معظم ديار مراکش بالقننة المنصلة وانقرض دولة الموحدين
ووجدت على بعض قصورها مكتوب فحم

ولقد مررت على دسوم ديارهم فبكيتهم والربع قاع صفص

وذكرت بحري الجواري عرساتهم فقلت ان الدهر فيهم موصف

قال فتناوت يا صا من بقايا جبار وكنت تحت

لهفي عليهم بدمهم بدمهم بالله قل لي في الورد هل يخاف

من ذا يحجب متاديا لوسيلة ام من يجبر من الزمان ونصف

ان جار فيهم واحد من جملة كم كان فيهم من كريم يعطف

ورحم الله الوزير الحبيب ابن سعيد وشكرا امتاعليه لمتواليه وكانت
مدتهم اول ظهور المهدي الى وفات ابي دبوس مائة سنة واثنين
وخمسين سنة سبحان من لا يسيد ملكه ولا ينقطع سلطانه لاله الا هو
وولي بعده السلطان **(ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محمد بن**
ابي بكر بن حماسة بن محمد بن كرناط بن مسرين بن ورداجين بن
ماخوخ بن وجديج بن قاتن ابن بدر بن محمّد بن عبد بن وريث
بن المزم بن ابراهيم بن سبيح بن وانيس بن يعلدن بن مشري
بن راكيا بن وسيلك بن زيات بن جانا بن يحيى بن عريت بن ضريس
وهو جالوت الاول ملك البربر بن رحيج بن مادغيس الابن بن
قبس بن غيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان استولى على
ملك الموحدين واجتث شجرتهم من فوق الارض وورث سلطانهم
كان دخوله الى مراکش في يوم عاشوراء سنة ثمان ومستين وستائة
لما اتته الياسة من اهلها بنوه ابو مالك عبد الواحد ولي بعده درج
على حياته ابو يعقوب يوسف الوالي بعده ابو زيان منديل ابو سالم
ابراهيم درج في حياته ابو عامر عبد الله وفقد في حرب كانت بينه
وبين المرضي ابو معروف محمد ابو يحيى فكانت مدته من اول ظهوره
ثمانية وعشرين سنة وستة اشهر واثنين وعشرين يوما وقد كان ولي

الامر قبله اخوته الثلاثة الامير ابو سعيد عثمان والامير ابو معروف
 محمد والامير ابو يحيى فلما توفي الامير ابو سعيد عثمان فتقدم اميرا
 على بني مرين لما قتلت رباح والده رحمه الله واخاه ادريس رحمه الله
 ولما تقدم خرج بهم الى غزو حرب رباح وحلف الا يكت منهم حتى
 يقتل بيده مائة شيخ من اشرافهم فقتل منهم خلقا عديدا وكان اول
 من يابه من اهل المغرب هوازة ودرجاجة ثم لم يمكنه ثم بطوية
 ثم فشتالة ثم سوارثة ثم ملولة ومدونة هؤلاء هم السابقون لبيعتهم
 فوضع عليهم الخراج واخرج عليهم الخسايظ وكان ذلك سنة اربع
 عشر وسبعمائة وصالح اهل فاس وازاة ومكناسة ونصر عبد الكريم
 على اموال ملولة يؤدونها اليه في كل سنة واستمر حاله الى ان اغتاله
 عالج له كان رماه صغيرا ضرب به بحربة في نحره فانت من حينه رحمه الله سنة
 ثمان وثمانين وسبعمائة فكانت امارته على مرين وبوادي المغرب من
 يوم وفاة ولده الامير ابى محمد عبد الحق رحمه الله ثلاثة وعشرين
 سنة وسبعمائة اشهر واما الامير ابو معروف محمد فاجتمع عليه شيوخ
 بني مرين لما قتل اخوه ابو سعيد عثمان رحمه الله وابوه على السم
 والطاعة وان يحاربوا من حارب وبالموا من سلم فاقام له امرم
 وسار بسيرة اخيه وفتح كثيرا من جبال المغرب وبواديه وكان شهما

بطلا شجاعا لم يفتر في ابائه من قتال عارف بمكابدة الحروب وخدمها
 فكان كما قال فيه الرازي

ثم ولي من بعده محمد	وكان في اموره مسدد
فكان لا يفتر من قتال	مواظبا للحرب والفرار
كم عسكر لاني وكم حشود	ومن جموع حجة الجنود
وكل جيش جامن مراکش	افناه بالحروب والتناوش
فأمره بولاية طمان	ابى سعيد مؤيد معان

ولم يزل يحارب جيوش الموحدين فيرجعون عنه خاسرين وان
 السعيد كان قد بعث اليه في مدته بجيش كثير من عشرين الفا من
 الموحدين والحرب وهسكودة وقواد الروم فالتقى الجمان بابى نياس
 من احواز فاس فكانت بينهم حروب عظيمة من اول النهار الى اخره
 انجلت عن قتال الامير ابى معروف رحمه الله قتله زعيم من الروم في
 المعترك والهزمت بنو مرين لما توفي الامير ابو معروف وذلك في
 عشي يوم الجمعة الخامس التاسع لجمادى الاخيرة سنة اثنين واربعين
 وسبعمائة واما الامير ابو بكر ابو يحيى فولى بعد اخيه ابى معروف
 وكانت امه حرة عبد الوادية وكان مطلق اليد يرمي بمرشدين في
 حالة واحدة ولما كان اخاه كان اول شيء فعله انه جمع اشياخ بني

مورين وقسم عليهم ما كان بيده من المغرب فانزل كل قبيلة في ناحية
منه وجعل لها ما نزلت فيه من الارض وما غلبت عليه من البلاد
ونزل زرهون وكان يقاتل منه مكناشة حتى تغلب عليها سنة ثلاث
واربعين وستائة وفي سنة ست واربعين وستائة ملك مدينة فاس
بمعد موت السعيد كانت وفاته سنة ست وخمسين وستائة رحمه الله
مرض بفاس ودفن بداخل باب الجزين من ابواب عدوة الاندلس
بازاء قبر الشيخ الصالح ابي محمد الفشتالي رحمه الله هذا لمخيص الخبر
عن هؤلاء الامراء الثلاثة رحمهم الله وقد كان ابوهم الامير ابو محمد
عبد الحق رحمه الله قام بامر بني مرين وجاز الى الاندلس اربع
مرات في الجواز الاول في سنة اربع وسبعين وستائة من قصر
الجواز وفي هذه السنة قتل اليهود بفاس وفيها ابتدا بناء البلد الجديد
بخارج مدينة فاس وهو المدينة البيضاء وتم في ذي الحجة سنة سبع
وسبعين وستائة في الجواز الثاني في سنة ست وسبعين وستائة من
قصر الجواز الى طريف قاصدا الى مدينة اشبيلية دخل اليها
على جهة زينة وكانت معه في هذه التزوات ابنائهم الاميران ابو
يعقوب وابو زيان مندبل دخلوا قرب الشريف في الجواز الثالث في
سنة احدى وثلاثين وستائة وشرع عند ذلك في بناء سور (البنية)

بالجزيرة الخضراء واجتمع بصحرة عناد مع صاحب قشتالة ورجب
منه في اعاقته على القائم عليه من اهل ملالة في الجواز الرابع في سنة
اربع وثلاثين وستائة وجاز معه ابنائهم الاميران ابو يعقوب وابو
زيان مندبل وحاصر في هذا الجواز مدينة شريش مدة من اربعة
اشهر وفي مدة سنة ست وثلاثين وستائة وفاته بالبنية من الجزيرة
الخضراء وذلك في محرم سنة ثمانية وثلاثين وستائة ونقل منها الى
سلا رحمه الله وولي بعده ابنه في السلطان ابو يعقوب يوسف في ابن
ابني يوسف يعقوب بن عبد الحق كانت مدته احدى وعشرين سنة
وتسعة اشهر ونصف شهر بنوه ابو سالم وابو حامد عبد الله وابو
سرحان سمودتوفي بطليجة وعبدالمومن وجاز الى الاندلس سنة تسعين
وستائة ونزل على بحيرة وقد كان جاز اليها مع ابيه حاصر
بلمسان الحصار الطويل الشهيير وعلينا هلك وفاته بلمسان
في ذي القعدة سنة ست وسبعين وستائة ونقل منها الى سلا
وولي بعده رحمه الله حفيده في السلطان ابو ثابت عامر في ابن الامير
ابني عامر عبد الله بن السلطان بن يعقوب يوسف بن السلطان ابي
يوسف يعقوب بن عبد الحق وحاته بلمسان بمعد اختلاف وقمع
وتزعاج النجلى لاسر فيه عن قذ من جماعة من اكبرهم رحمهم الله كانت

مدته سنة واحدة وثلاثة اشهر وعمره اربعة وعشرين سنة وفاته
 باحوار طنجة في صفر سنة ثمان وسبعمائة ودفن بقصبتها ثم نقل الى
 شالة فدفن بها ملاصقا لجده ابي يعقوب رحمه الله وولي بعده اخوه
 السلطان ابو الربيع السلطان بن الامير ابي عاصم عبد الله بن
 السلطان بن يعقوب نصير له الملك بعد اخيه وفي مدته عام ثمانية
 وسبعمائة عادت سبته الى ايلانهم كانت مدتهم سنتين واربعة اشهر
 وثلاث وعشرين يوما وفاته بتاؤه في مستهل رجب سنة عشرة
 وسبعمائة وهو مدفون بصحن مسجدها وولي بعده رحمه الله عمه
 السلطان ابو سعيد عثمان بن السلطان ابي يوسف يعقوب بن
 عبد الحق مولده في حياة جده سنة اربع وسبعمائة كانت
 مدته عشرين سنة ونصف سنة وفاته في ذي القعدة سنة احدى
 والاثين وسبعمائة بخارج فارس أو مقدمه من تلمسان وولي بعده
 رحمه الله ابنه السلطان ابو الحسن كان مدته عشرين سنة
 واربعة اشهر وفاته بجبل هنتانة من مراکش في اخر شهر ربيع
 الاول المبارك من عام اثنين وخمسين وسبعمائة وولي بعده رحمه الله
 ابنه السلطان ابو عثمان فارس نائب بالموكل على الله امير المؤمنين
 كانت مدته سبع سنين وتسعة اشهر وفاته في الرابع والعشرين

من ذي الحجة عام تسعة وخمسين وسبعمائة وولي بعده رحمه الله
 ابنه السلطان ابو بكر كانت مدته سبعة اشهر وعشرين يوما
 وولي بعده رحمه الله ابن عمه السلطان ابو سالم ابراهيم
 بن السلطان ابي الحسن نائب بالمستعين بالله كانت مدته
 سنتين وثلاثة اشهر وخمسة ايام وفاته في ذي القعدة عام اثنين وستين
 وسبعمائة وولي بعده اخوه السلطان ابو عاصم تاشفين بن السلطان
 ابي الحسن كانت مدته ثلاثة اشهر وولي بعده ابن اخيه السلطان
 ابو زيان محمد بن الامير ابي عبد الرحمن يعقوب بن السلطان ابي
 الحسن كانت مدته نحو خمسة اعوام وفاته عام ثمانية وسبعمائة
 وولي بعده عمه السلطان ابو فارس عبدالرزاق بن السلطان ابي
 الحسن كانت مدته نحو خمسة اعوام وفاته بتلمسان في شهر ربيع
 الاول عام ثلاثة وسبعمائة وولي بعده ابنه السلطان ابو محمد
 السعيد وسنه اذ ذلك نحو خمسة اعوام كانت مدته نحو سنتين وخام
 في محرم من سنة ستة وسبعمائة وولي بعده بمخاضة مر كاش
 السلطان ابو زيد بن عبد الرحمن لمتوكل على الله بن الامير ابي
 الحسن علي بن السلطان ابي علي عمر بن السلطان بن سعيد عثمان
 ابن السلطان ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق استقر بمخاضة

مراكش في شهر الله المحرم من عام ستة وسبعين وسبعمائة وهو بها
الى هذا العهد الذي التفت فيه هذا المجموع يوم الخميس الثاني عشر
شهر ربيع الاول من عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة عرف الله فيه
المسلمين عوارف الخير والسير وانجز لهم الموعود فيما هم فيه يرتقبونه
من طلائع النصر وظهور هذه الملة الحنيفة في اشباع الكفر فيجب
لذلك من المدة سبعة اعوام وشهران والله تعالى يجبر حاله ويدين في
صلاح المسلمين مبتغاه واهله بفضلته وكرمه . وتخلص من هذا
الاختصار المبني وضعه على حديث الحصار ما اجنبه القصص من
الانباء والمبرة والاستبصار . ان مدينة مراكش يجب لها
من السنين الى هذا الزمان من لدن اختطاط المكان والاحتلال
بها بالسكان وتصيرها بالممران بعد ان كانت مراكضا للاندلس
ومسكنا للقرطاج لان حسبها تقدم قبل بارضح يارب . ثلاثمائة سنة
وعشرين سنة منها من حين تخليتها بالبور العبد النظر الطويل
الخطر بسبب ما ذكر من ظهور المعدي على المرابطين مائة سنة
وثلاث وستون سنة . المختصر ملوك المرابطين رحمهم الله من بدء
الاعتبار اربع وسبعين سنة . والمختصر بدولة الموحدين رحمهم الله
من حين استلائهم على دار خلافة مراكش واستقرارهم بمخاضتها

على حسب ما تقدم في موضعه مائة سنة وست وعشرون سنة
والمختصر بدولة ملوك بني مرين اعزهم الله من حين انقراض
دولة الموحدين الى هذه النهاية مائة وخمسة عشر سنة فالمجتمع من
هذا التفصيل الذي لا يلق جهله بن عنا بالاخبار من ذوي
الادراك وتبصيل ثلاثمائة سنة وعشرون سنة حسبما تقدم قل ومبلغ
عدد خلائفها رحمة الله عليهم ثمان وثلاثون . المرابطون منهم رحمهم
الله اربعة هم يوسف بن تاشفين بعده ابنه علي بن يوسف ثم بعده
تاشفين بن علي ثم بعده ابنه ابراهيم بن تاشفين . نسبهم للمرابطون
الذين هم لمتونة يرجع الى صنهاجة وصنهاجة ترتفع الى حمير وحمير
احد العشرة من اولاد سببا بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن
عامران شالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان هؤلاء
المشرقيين منهم ستة وتشام اربعة حسبما ورد في الحديث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان حمير بن تيامن واتخذ اليمن قرايرا
ثم انتقلوا من اليمن الى الصحراء ومن الصحراء خرجوا الى المغرب
هذا اخير نباء المرابطين رحمهم الله (الموحدين) اربعة عشر اولهم
المعدي محمد بن تومرت ثم بعده خليفته واحد العشرة من اصحابه
ابو محمد عبد المؤمن بن علي ثم بعده ابنه ابو يعقوب يوسف بن عبد

المومن ثم بعد ابنه ابو يوسف يعقوب المنصور ثم بعده ابنه ابو عبد
الله بن ناصر ثم بعده ابنه ابو يوسف يعقوب المستنصر ثم بعده عم
ابيه ابو مالك عبد الواحد بن يوسف عبد المومن ثم بعده ابن اخيه
الدامل ابو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور ثم بعده اخوه المامون
ابو العلا ادريس بن يعقوب بن يعقوب المنصور ثم بعده ابن اخيه المتصم ابو
ذكرى يحيى بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور ثم بعده ابن اخيه الرشيد
ابو محمد عبد الواحد بن المامون ابو العلا ثم بعده اخوه السيد ابو
الحسن علي بن المامون ثم بعده ابن عم ولده الرضى ابي حفص عمر
ابن السيد ابراهيم بن يوسف بن عبد المومن ثم بعده ابن عم ولده
ابو دبوس الوائلي بالله ابو العلا ادريس بن السيد ابي عبد الله محمد
ابن السيد ابي حفص عمر بن عبد المومن الذي انقرضت على يده
دولتهم. واما نسب الامام المهدي فقد تقدم قبل هذا عند ذكره وانه
يرفع الى الحسن ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وما فوقه من النسب
الشريف مشهورا صلة من هرغة بن بلادسوس الاقصى وسوس الاقصى
هو بلاد ماسة وهو على عين القبلة من جبل درن الى ان تصل بالصحراء
واما نسب عبد المومن فقد تقدم في اسمه وانه يرفع الى قيس ابن
غيلان وقيس بن غيلان يقال فيه قيس غيلان واسمه الياس وهو

ابو قبيلة بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان اصل عبد المومن
من كومية هنيئ زناي الاصل من موضع يعرف بتاجرا على
ثلاثة اميال من مرسى هنيئ بتاجرا من عمل تلمسان وطن زناة انقضى
الكلام في الموحدين واعدوا الى من ولي بعدهم على جمعة الاختصار
(ابو عبد الحق) منهم من درج واعز من خلفه نسبهم يرجع الى بني
مصرين وبني مصرين يرجع الى زناة وزناة من اولاد جنس ابن يحيى
ابن خريس بن زحيك بن مادغيس بن بد بن قيس بن غيلان وقد
كان جماعة من العلماء ممن له اعتناء بهذا الشأن ينسبون لبدي بن قيس
للكور وقالوا جازي في كتابه انهم عرب الصحراء وانما تبرؤا بالمجاورة
والمخالفة للبربر (قال ابن رشيقي) ان البرابر باجمها من ولد جالوت
الاقبيلتين صنهاجة وزناة فانها يستسبان الى حمير اصلهم اصل بني
مصرين من حوز تلمسان قاعدة القرب الاوسط ودار مملكة زناة
على قديم الزمان وكان وطهم ما بينهما وبين ناهرت من شرقها بجوارهم
في السكنى من زناة بني يعمراسن وبني تيجين وبني مفلولة وبني
راشد وغيرهم وكان غالبيتهم القرساني (قال ابن رشيقي) اصل زناة
من الشام وكانت دارهم فلسطين ومملكتهم جالوت فلما قتله داوود عليه
السلام جاءت البربر الى المغرب فانتشروا الى السوس الاقصى ومنذ

وقع ذكر البرابر فاشير الى طرف من اصول انسابهم من جهة زانية
 وغيرها على جهة الاختصار واعراض البرابر هم : هوارة وبميلة
 وضريسة ونغراوة وبنو بفرن وبنو دمروريلج وندراته ومسطانة
 ومازورة وبفرزة وبنو غجدة ولهاهة ولواته ومديونة ومطاطة وكنامة
 ومزبانة وبروشة راورية والحابة وروحة وتلكاة وكزانة ومكلاثة ونفوسة
 ولطاة ومديونة وعجيسة ومكناسة وزوغة وزواوة وصرفورة وزهامة
 ومسارة وزداجة ومقرة ومصمودة وغارة وبنو زروال وبنو سعيد
 وبنو سنجوم وبنو يازين وبنو خالد وبنو مشوشة وبنو شراحيل وبنو
 ورنج ولماية وغير هاذلأ وهم بطون كثيرة ونفر عواتر بما عريضا
 ليس هذا الموضع محل بسط القول وتقصي الانباء انما ينبغي فيه على
 الاختصار واطراح التطويل فاعود الى ما كنت بسطه من ذكر
 الملوك من بني عبد الحق عددهم اربعة عشر ملكا من ملوك مراکش
 اولهم السلطان ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق ثم بعده ابنه
 السلطان ابو يعقوب يوسف بن يعقوب ثم بعده حفيده ابو ثابت
 عامر بن عبد الله بن السلطان ابو يعقوب ثم بعده اخوه السلطان
 ابو الربيع سليمان ابن الامير ابو عامر عبد الله ثم بعده عم ابيه
 السلطان ابو سعيد عثمان بن السلطان ابو يوسف يعقوب بن عبد
 الحق ثم بعده ابنه السلطان ابو الحسن علي وبعده ابنه السلطان

ابو عثمان فارس ثم بعده ابنه ابو بكر السعيد ثم بعده عمه السلطان
 ابو سالم بن ابراهيم بن السلطان ابي الحسن ثم بعده اخوه ابو عمر
 تاشفين بن السلطان ابي الحسن ثم بعده ابن اخيه السلطان ابو زيان
 محمد بن الامير ابي عبد الرحمن يعقوب بن السلطان ابي الحسن ثم
 بعده عمه السلطان ابو فارس عبد العزيز بن السلطان ابي الحسن
 ابنه السلطان محمد السعيد ثم بعده بقاعدة مراکش المذكور
 السلطان ابو تاشفين عبد الرحمن بن الامير ابي الحسن علي بن السلطان
 ابي علي عمر بن السلطان ابي سعيد بن السلطان ابي يوسف بن عبد
 الحق الى هذا الزمان الذي تعرف فيه اهل كلمة الايمان عوارف
 اليمن والامان وذلك بمساعدة ايام مولانا الامام خليفة رب العالمين
 الثاني بالله امير المسلمين كبير الملوك وقدة الخلفاء المخصوص من
 الله بجزايا الاجتياء والاصطفاء عز الاسلام وبهجة الايام حامل الكل
 وكافل الكل ادام الله حياته وعصم الكريم ذاته . بفضلته وكرمه . فقلند
 احبائه الاسلام بحسن تديره . وجميل سمعه وفرت شر اعداها الغتباط
 على من آوى الى كنف رعيه حتى ملوك الاقطار معها استشاروه
 يحمدون عاقبة تلك الاستشارة . وتصدر وفودهم من بابها بالجمح راي
 واعظم بشارة . فآمالهم اليه . مصروفه . واحكامهم على سياسته الحسنة
 موقوفة . فسيحان الذي خص هذه الايالة النصرية الخرجية بخالص

السيرة وكرم السجية وطوبى لمن اشبا من خدمتها العزيزة تحت
ظلال اكشافها ولحقت لابائه عناية اسلافها فلقد نال من حظ الدنيا
والاخيرة مبتها. وامن من عدوان الزمان ووغاه. على انه من اطلع
على اخبار الخلفاء ونظر في السير من العهد السالف يرى ان هذا الاندلس
بوجودهم كفاه الله جميع جودهم كان لم تمر اعاصرها ولا عدم منصورها
ولا ناصرها احيوا فيها رسوم المدل بعد عفاها واربوا المحاسن
المتعددة على خلفائها واما ما يكابد فيها وما كان باؤها قبله يكابدونه
فبانصال العافية دون الادراك ومن دونه لا يعتبر حارب الزمان
ولا الهدنة ولا يعلم ان عدو الاسلام وان وجد اسلاما زالوا يجاهدونه
والله سبحانه هو الذي يجزي فلعلم من الخير الذي عنده عز وجل
يجدونه ومع هذا فليس له ابقاء الله في الدوحة من اهل الزمان والمدوة
الا اعمال الفكر في مصالح الاندلس والمدوة يتكاف في اصلاح ذات
بين المسلمين انهم المكاف ويتكاف بتسكين احوالهم اشد الكلف
وقد الف الان بنية صالحة في تلك المدوة بين القلوب واعمد بده البرز
سيوف الفتنة بين الطالب والمطلوب ما زال يجاهد في اطفاء نارها من
اولها واخرها يتاول امر المسلمين احسن تناولها فكم حقن من الدماء
وتدارك من التمام وفرج من التمام وسكن من الدهاء فبصالح تديره
يرتفع الضمان والاختلاف. ويفشم الاتفاق والايلاف. وتستقيم

احوال كل فريق ويستامن السلوك على كل طريق ويستقبل الناس
هدوا مستانفا ويهود العمرات لتامسنا وانا. واما احوال ازموور
فتصلح به الاحوال وتستقيم الامور. واما وادي ام الربيع فيرجع
سوقا للشراء والبيع واما وطن دكالة فسل على نظره الجميل وقف
امكانه. واما صنهاجة فتصلح وان مسنها الحاجة. واما اهل وريكة
وانعام فيبركة رايه يهدي لمن عاش وبرحم من مات. واما اهل
تصغرت وكيف فيها في استقامة طاعتهم رب ولا تشكيك. واما اهل
جبل درن فما بقي في خاتم جماع ولا حزن. واما اهل ينال فتتمشى
احوالهم على نهاية الكمال. واما قبيلة هسكورة فتصدر عنهم افعال
مشكورة. واما اهل هنتاة فييدي كل واحد منهم خلوصه وامتنانه
واما سائر الاشياخ والمزاورة فيردون بلادنا بجاورة. واما اهل
سوس الاقصى فيتصرفون من الخير مالا يحصى. واما اهل جزولة
فيرفع عنهم ما يتوقع نزوله. واما اهل ديف اسفي فيقتون على يد
هذا الملك الجهاد الموفي. طامقا الله بالاعطف الخفي فتاسر البرابر ان
شاء الله في عظمهم ويضعون اوزار حربهم وتصلح احوال مدتهم
وعزهم ويتولد النبل والابل وتكثر الماشية وتكثر بسعادة
تديره كل فنة ناشئة وتصل بالعدوتين ايدينا وايديهم وتصرف
الوجوه الى اشياخ الكفر اعادينا واعادهم فساعيه الكريمة فيما يؤول

لإجماع الكلمة وانتظار امر الأمة المسماة لا يعلمها الا الذي اختصه
 بها وفضله واختاره للخلافة في ارضه واهله فله ذلي يحفظ بوجوده
 هذه الدولة ونظامها ويبقي لآظهار الدين دواءها بفضله وكرمه اللهم
 احفظ ايا الله التي كرم منهاها واشكر سميه في حوزة الاسلام التي
 دافع عنها وحماها اللهم احفظ بحسن سيرته جميع الاحباء والمبلغ من
 فضلك اقصى الاماني وغاية الرجاء اللهم انقذ بحبي هذه الجزيرة
 رسوم طارق بن زياد * وادم انا ايامه التي هي المواسم والاعباد *
 انك قادر على اتمام الليالي والايام بالذوام * وهذا ما حضر والسلام *
 فتبلغ الي متكفل لمن دعى كتابه على الدوام * صلى الله على
 سيدنا محمد سيد الانام * انتهى

وبعد فقد تم طبع هذا الكتاب بحسن عون سهيل الاسباب .
 وكان ذلك بمطبعة التقدم الاسلامية بحاضرة تونس وقد باشر
 تصحيحها السيد البشير القورقي وبالرغم عن كونه لا يوجد الا نسخة
 واحدة من هذا الكتاب وبعض قطع من نسخة اخرى ولم نسمع بانه
 سبق طبعه فانه جاء بحمد الله خال من التجريف منزعه عن التبعيض
 جزى الله الجميع عن همهم ونشاطهم في احياء هذه المنائر التي هي لنا
 ولامتنا مفاخره وذلك في اواخر شهر ربيع الثاني من عام تسعة
 وعشرين وغلامائة والى من هجرة سيد البشر صلى الله عليه وسلم